

مطبوعات المجمع

آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال

(١٣)

طريق الهجرتين وباب السعادتين

تأليف

الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية

(٦٩١ - ٧٥١)

حققه

محمد أجمل الإصلاحي

خرج أحاديثه

زائد بن أحمد النشيري

إشراف

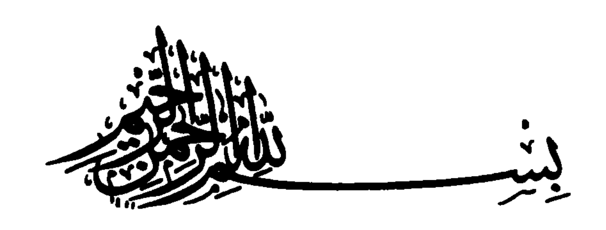
بكر بن عبد الله أبو زيد

تمويل

مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية

المجلد الأول

دار عالم الفوائد
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

راجع هذا الجزء

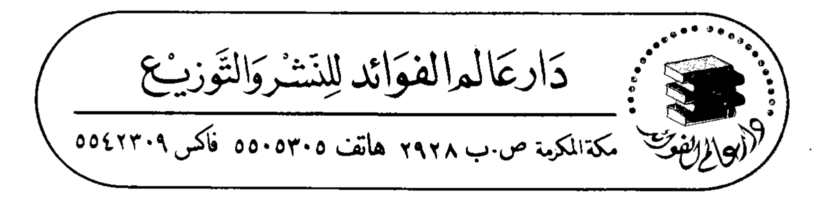
سعود بن عبد العزيز العريفي

علي بن محمد العمران



مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية
SULAIMAN BIN ABDUL AZIZ AL RAJHI CHARITABLE FOUNDATION

الطبعة الاولى ١٤٢٩هـ



الصف والإخراج دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الحكيم: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة/ ١٥ ـ ١٦]. والصلاة والسلام على رسوله الذي بعثه في الأميين، يتلو عليهم آياته، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم؛ فبلغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح للأمة. ومضى إلى ربه محمودًا بعدما أقام الدين، وترك الأمة على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

أما بعد، فإن كتاب «طريق الهجرتين وباب السعادتين» للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى لكتاب نفيس نادر في بابه. فقد وضعه لبيان قواعد السلوك والسير إلى الله على الطريقة التي شرعها الله ورسوله ﷺ. والمقصود بالهجرتين ـ كما فسّر المؤلف في مقدمة هذا الكتاب وفي كتبه الأخرى ـ هجرة العبد إلى الله سبحانه بالتوحيد والإخلاص والإنابة والحب والخوف والرجاء والتوكل والعبودية، وهجرته إلى رسول الله ﷺ بمتابعته والتأسّي به في كل شأن من شؤون حياته من عقائده وعباداته ومعاملاته. وهذا هو مضمون الشهادتين اللتين لا يقوم الإيمان والإسلام إلاّ بهما.

ولا تخفى أهمية الهجرتين المذكورتين في باب الإحسان وتزكية النفس والسير إلى الله. فإنّ الصوفية منذ أن جعلوه سرًّا مكتومًا، زاعمين أنه علم خصّ به النبي ﷺ بعض أصحابه، ثم حكّموا فيه الذوق

والوجدان والكشف والإلهام = فتحوا بابًا واسعًا للزيغ والانحراف والتأويل والتحريف. ثمّ تعدّوا إلى تقسيم الدين إلى شريعة وطريقة، وعلم الظاهر وعلم الباطن، وقرّروا أن الأول حجاب دون الآخر، حتى صار التصوف في بعض صوره دينًا مناهضًا لدين رسول الله ﷺ.

ومن ثم لم يكن شيخ الإسلام ابن تيمية وصاحبه الإمام ابن القيم رحمهما الله ليصرفا النظر، في المهمة العظيمة التي قاما بها لإصلاح الأمة وتجديد معالم الدين، عن الردّ على مزاعم الصوفية، والكشف عن انحرافاتهم، وبيان هدي النبي ﷺ في التزكية والإحسان.

وقد أوتي الشيخان الربّانيّان قدرةً عجيبةً على الخوض في غوامض علوم العارفين ودقائق أحوالهم والكلام عليها. وذلك لما فتح الله عليهما من علوم الكتاب والحكمة، ثم وفقهما للظهور على معارج العبودية والإشراف على مقامات الإحسان. ومن هنا أصبحت كتابات الشيخين في التصوف والسلوك، الجامعة بين خطر الموضوع، وسلفيّة المنهج في التمسّك بالكتاب والسنّة دون تحيّز لأحدٍ كائنًا من كان، وقدرةٍ على الخوض في الدقائق، وقوّة البيان ووضوح التعبير = أصبحت منظومةً نادرةً في المكتبة الإسلامية الزاخرة.

ومن أجلّ تلك الكتب كتابنا هذا. وقد افتتحه ابن القيّم رحمه الله «بباب الفقر والعبودية، إذ هو باب السعادة الأعظم وطريقها الأقوم الذي لا سبيل إلى دخولها إلاّ منه». ثم تكلم على قواعد نافعة منها قاعدة في الإنابة ودرجاتها، وقاعدة في الابتلاء، وقاعدة في ذكر طريق قريب موصل إلى الاستقامة في الأحوال والأقوال والأعمال، وقاعدة في أقسام العباد في سفرهم إلى الدار الآخرة. وختم الكتاب بباب جامع في مراتب

المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم فيها.

وقد تطرّق الكلام في أثناء البابين والقواعد إلى مباحث عظيمة ومسائل مشكلة اقتضت أهميتها إشباع القول فيها، كمبحث القضاء والقدر الذي استغرق أكثر من مائتي صفحة. ولكن أهمّ أقسام الكتاب وأنفسها ـ وهو من صميم الموضوع فلا يعدّ استطرادًا ـ هو القسم الذي تكلم فيه المؤلف رحمه الله على علل مقامات السلوك. وقد اختار لبيان غلط المشايخ في هذا الباب كتاب محاسن المجالس لأبي العباس ابن العريف الصنهاجي من أكابر صوفية الأندلس. فتناوله فصلاً فصلاً بالنقد والنقض، وبيّن ما له وما عليه، فتكلم على ما قاله في منزلة الإرادة مثلاً، من اثني عشر وجهًا، وعلى التوكل من خمسة عشر وجهًا، وعلى الخوف من ثلاثة عشر وجهًا، وهكذا.

ومما يستغرب أن المستشرق الإسباني الذي نشر محاسن المجالس في باريس سنة ١٩٣٣م لم يكن على علم بنقد ابن القيم إياه في طريق الهجرتين، مع كونه مطبوعًا قبل المحاسن بأكثر من ثلاثين سنة.

وقد صدرت أول طبعة من كتابنا عن المطبعة الميمنية سنة ١٣٢٠هـ = ١٩٠٢م، على حاشية كتاب آخر لابن القيم، وهو إغاثة اللهفان. ثم طبعته إدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٥٨هـ، وتلتها طبعة المكتبة السلفية سنة ١٣٧٥هـ. ولكن لم تتهيأ لهذه الطبعات نسخة موثقة عالية من الكتاب، فكثرت فيها الأسقاط والتصحيفات والتحريفات، إلا ما صحح منها باجتهاد المشرفين عليها، غير أن اجتهادهم قد أدّى في أحيان كثيرة إلى مزيد من الأخطاء.

وعن هذه الطبعات الثلاث ـ وبخاصة طبعة المكتبة السلفية ـ

صدرت عشرات الطبعات، وصوّرت مرّات ومرّات. وزعمت طبعتان منها ـ وهما طبعة دار ابن كثير بتحقيق يوسف علي البديوي، وطبعة دار البيان بتحقيق بشير محمد عيون ـ أنهما اعتمدتا على نسخة الظاهرية، وأثبتت الأخيرة أرقام أوراقها أيضًا في الحواشي، ولكن مقارنة متن الطبعتين بالنسخة المذكورة لا تصدّق دعواهما العريضة. ولو اعتمدت إحداهما عليها لكانت خليقةً بأن تكون أصحّ الطبعات، غير أنهما لم تزيدا على مراجعتها في مواضع متفرقة تحلّةً للقسم!

وكان من فضل الله سبحانه أن وفقني لإخراج هذه النشرة التي هي أول نشرة علمية للكتاب، وقد اعتمدت فيها على خمس نسخ خطيّة، أهمّها نسختان: إحداهما نسخة الظاهرية التي هي مسودة الكتاب بخط المصنف، والأخرى نسخة منقولة من نسخة المصنف حسب تصريح ناسخها.

وقد تبيّن لي أنّ المؤلف رحمه الله قد ترك الكتاب مسوّدة مع إضافاته وإلحاقاته الكثيرة، فلا أمكنه تبييضه، ولا قرئ عليه، ومن ثم قد بقي فيه من السهو وسبق القلم شيء كثير. وقد ضاع بعض كلامه أيضًا لكونه في أطراف الأوراق التي أكل منها البلى. وكان في خطه كذلك من السرعة وإهمال النقط وتداخل الكلمات وغيره ما يؤدي إلى صعوبة واختلاف في القراءة. وقد اجتهدت في قراءة النص مستعينًا بالنسخة المنقولة من الأصل وغيرها، ومستأنسًا بأسلوب المؤلف وعباراته المألوفة، وأرجو أن أكون قد وفقت في خدمة الكتاب وأدائه أداءً مقاربًا لما وضعه المؤلف رحمه الله.

وقد مهّدت للكتاب بدراسة اشتملت على الفصول الآتية :

١ ـ توثيق نسبة الكتاب .

٢ ـ عنوان الكتاب .

٣ ـ تاريخ تأليف الكتاب .

٤ ـ مقصد الكتاب .

٥ ـ ترتيب الكتاب وبعض مباحثه المهمة، وفيه إشارة إلى بعض طرائق التأليف اللطيفة عند المصنف .

٦ ـ أهمية الكتاب .

٧ ـ موارد الكتاب .

٨ ـ طبع الكتاب وتحقيقه واختصاره وترجمته .

٩ ـ مخطوطات الكتاب .

١٠ ـ منهج التحقيق، مع نماذج مصورة من النسخ المعتمدة .

وأشكر الأخ الشيخ زائد بن أحمد النشيري الذي تولّى تخريج الأحاديث الواردة في الكتاب ماعدا أحاديث الصحيحين، فجزاه الله خير الجزاء .

وقبل أن أضع القلم آمل من القراء، لا سيما العلماء والباحثون، إذا وقفوا على خلل أو زلل في خدمة الكتاب، أن لا يضنّوا عليّ بإفاداتهم وتنبيهاتهم . فالأمانة ثقيلة، والإنسان مهما اجتهد وبالغ فإنه إلى الضعف والنسيان ما هو! وخدمة هذا التراث العظيم لا تتم عندي إلا بتعاون

المحقق الخبير والناقد البصير؛ وإني إذ لم أكن بذاك، أرجو أن لا أعدم ناقدًا بصيرًا يُهدي إليّ عيوبي.

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يغفر لمؤلفه، ويرفع درجاته، ويجزيه عنا خير ما يجزي العلماء الربانيين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الرياض   محمد أجمل أيوب الإصلاحي

٢٢/ ١٢/ ١٤٢٧هـ

توثيق نسبة الكتاب

لم يكن هذا الكتاب بحاجة إلى توثيق نسبته إلى الإمام ابن القيم رحمه الله، فإننا لا نعرف أحدًا شكّ في ذلك، لولا ما وجد على ظهر نسخة منه، وهي محفوظة في مكتبة الدولة في برلين برقم ٨٧٩٥، وناقصة من أولها بقدر ستين ورقة تقريبًا، فكتب بعضهم في أعلى الورقة الأولى: «كتاب نهج العمل لابن حجر»، وفي ورقة أخرى قبلها كتب: «نهج العمل لابن حجر في السلوك». ولعل من كتب هذه العبارة قصد المغالاة في ثمن النسخة وإغراء من يعرضها عليه بالشراء. وذلك لأن النسخة كتبت سنة ٨١٦هـ كما جاء في خاتمتها، فإذا كان مؤلفها الحافظ ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ، فهي على هذا قد نسخت في حياة المؤلف قبل وفاته بستة وثلاثين عامًا، فلا شكّ إذن في كونها نسخة ثمينة جدًّا! ولكن لا أدري من أين جاء هذا الكاتب بعنوان «نهج العمل»، إذ لم أره عنوانًا لكتاب مطلقًا في كشف الظنون وذيله، فضلاً عن أن يكون عنوانًا لكتاب من كتب الحافظ ابن حجر رحمه الله. والجدير بالذكر أن في بداية بعض الكراريس تصريحًا بكونه «حادي عشر من طريق الهجرتين» مثلاً.

وبعد، فإن الشواهد على نسبة الكتاب إلى ابن القيم كثيرة جدًّا ومتنوعة. ومن أبرزها:

(١) أن المخطوطة التي اعتمدنا عليها في هذه الطبعة مسودة الكتاب بخط المؤلف. وفي صفحة العنوان كتب اسمه واسم الكتاب مصرّحًا بأنه من تأليفه، كما سيأتي في وصف المخطوطة.

(٢) أن المؤلف نفسه ذكره أربع مرّات في كتابه مدارج السالكين، والمباحث التي أحال فيها على كتابنا كلها موجودة فيه. فذكر في الموضع الأول (١/ ١٥٥) مذهب نفاة الحكمة والتعليل الذين لا فرق عندهم بين المأمور والمحظور في نفس الأمر، والمشيئة هي التي اقتضت أمره ونهيه عن هذا. ثم أشار إلى أنه بيّن فساد هذا الأصل من نحو ستين وجهًا في كتابه مفتاح دار السعادة، وأنه ذكره أيضًا في كتابه المسمى بسفر الهجرتين وطريق السعادتين. وهذا المبحث موجود في كتابنا في ص(٢٤٦).

وفي الموضع الثاني (١/ ٤٨٠) أورد فصلاً في مشاهد الخلق في المعصية وقال: «ولعلك لا تظفر به في كتاب سواه إلاّ ما ذكرناه في كتابنا المسمى سفر الهجرتين في طريق السعادتين». وهذا الفصل يوجد في كتابنا في ص(٣٥٠).

وفي الموضع الثالث (١/ ٥٦٧) عندما فسّر ابن القيم كلام صاحب منازل السائرين في رياضة خاصة الخاصة ، وأن منها «قطع المعاوضات» نبّه على أن سؤال المحبّ الصادق أن يثيبه الله سبحانه الجنة والقرب منه والتنعم بحبه ليس قادحًا في عبوديته، ثم قال: «وقد استوفينا ذكر هذا الموضع في كتاب سفر الهجرتين عند الكلام على علل المقامات». ولعل المؤلف يشير إلى المسألة الخامسة من المسائل الخمس في المحبة والشوق، التي تكلم عليها في كتابنا في ص(٧٢٩).

وأشار في الموضع الرابع (٢/ ٧٤) إلى مسألة في الشوق، هل يبقى عند لقاء المحبوب أو يزول، فقال: «ولقد ذكرنا هذه المسألة مستقصاة وتوابعها في كتابنا الكبير في المحبة، وفي كتاب سفر الهجرتين». وهذه

المسألة هي المسألة الثالثة من المسائل الخمس المذكورة. انظر ص(٧٢٤).

(٣) ومنها أن ابن القيم أحال في هذا الكتاب على مؤلفات أخرى له نحو قوله في ص(٨٦): «وقد ذكرنا في كتاب الكلم الطيب والعمل الصالح من فوائد الذكر استجلاب ذكر الله لعبده، وذكرنا قريبًا من مائة فائدة تتعلق بالذكر، وكل فائدة منها لا خطر لها، وهو كتاب عظيم النفع جدًّا». والكتاب المذكور معروف مطبوع، وقد صدرت منه نشرة جديدة ضمن هذا المشروع أيضًا بعنوان «الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب».

وكذلك أحال فيه على كتابه «التحفة المكية» مرتين (٤٢٥، ٤٥٤)، وهو من الكتب التي ذكرها الحافظ ابن رجب وغيره من مؤلفات ابن القيم. وقد أشار ابن القيم أيضًا إليه في عدة مواضع من كتابه بدائع الفوائد.

وأحال أيضًا على كتاب كبير له في المحبة قائلاً: «وقد ذكرنا مجموع هذه الطرق في كتابنا الكبير في المحبة الذي سميناه «المورد الصافي والظل الضافي» في المحبة وأقسامها وأنواعها وأحكامها، وبيان تعلقها بالإله الحق دون ما سواه، وذكرنا من ذلك ما يزيد على مائة وجه»(١٢٤). وهذا الكتاب هو الذي أشار إليه في مدارج السالكين(٢/ ٥٩٨) ـ وإن لم يسمّه ـ فقال: «وجميع طرق الأدلة عقلاً ونقلاً وفطرةً وقياسًا واعتبارًا وذوقًا ووجدًا تدلّ على إثبات محبة العبد لربه والرب لعبده، وقد ذكرنا من ذلك قريبًا من مائة طريق في كتابنا الكبير في المحبة». وهو غير كتاب «روضة المحبين» المطبوع.

وقد أشار أيضًا إلى كتابين آخرين لم يسمّهما، فقال في موضع:

«وقد ذكرنا مائتي دليل على فضل العلم وأهله في كتاب مفرد» (٧٧٠). ولا يخفى أن المقصود كتاب فضل العلماء الذي ذكره ابن رجب في ترجمة ابن القيم[١].

وفي موضع آخر تطرق الكلام إلى الأنفع والأفضل من النخيل والعنب وأنّ طائفة رجحت النخل وأخرى رجحت العنب، فقال: «وذكرت كل طائفة حججًا لقولها قد ذكرناها في غير هذا الموضع» (٨٠٨). والظاهر أن المؤلف رحمه الله يشير إلى كتابه مفتاح دار السعادة الذي تضمن هذا المبحث (٢/ ١١٧).

(٤) ومنها المباحث المشتركة بين هذا الكتاب والكتب الأخرى للمؤلف، ولا خلاف بينها إلا في الاختصار والتفصيل أو التقديم والتأخير. أما نفسه وبيانه ومنهجه في ذكر الأقوال والمذاهب والموازنة بينها، فهو هو، بل تجد اللفظ بعينه بعض الأحيان.

ومن أمثلتها مبحث طويل في مذاهب الناس في أطفال المشركين (٨٤٢ ـ ٨٧٧). وقد ورد المبحث نفسه في كتاب أحكام أهل الذمة (١٠٨٦ ـ ١١٣٠)، وفي حاشية المؤلف على سنن أبي داود (١٢/ ٣٢٠).

ومن ذلك أيضًا تفسير المؤلف لدعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال» (٦٠٥). وقد فسره أيضًا في بدائع الفوائد (٧١٤) ومفتاح

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٥). وانظر: ابن قيم الجوزية للشيخ بكر بن عبدالله أبوزيد (٢٨٢).

دار السعادة(١/ ٣٧٥) والداء والدواء(١١٨).

ومن ذلك تفسيره لكلام صاحب منازل السائرين على الفقر والغنى والتجريد والشوق. وقد فسّره في كتابنا هذا (١٩، ٦٣، ٦٧، ٧٢٩) ثم فسره في مدارج السالكين (٢/ ٤٩٧، ٥٠٣)، (٣/ ٢١، ٤٠٨). والمقارنة بينهما تكشف عن وجوه المشابهة والمفارقة، ولكن تؤكد في الوقت نفسه أن الكلامين لمؤلف واحد.

(٥) ومنها نقول المؤلف عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. وبعضها من كتبه وبعضها رواية شفوية عنه. وسيأتي الحديث عنها عند الكلام على موارد المؤلف في هذا الكتاب.

(٦) وأخيرًا اتفاق كتب التراجم على نسبته إلى ابن القيم، وبعضها لتلامذته ومعاصريه، كما سيتبين من الفقرة الآتية.

عنوان الكتاب

ذكر الكتاب في المصادر ـ ومنها بعض كتب المؤلف ـ بعدّة عناوين وصلت إلى ستة وجوه، وهي:

١ ـ سفر الهجرتين وطريق السعادتين.

بهذا العنوان سمّاه المؤلف في مدارج السالكين(١/ ١٥٦)، فقال: «. . . وذكرنا أيضًا في كتابنا المسمّى بـ(سفر الهجرتين وطريق السعادتين) ».

وهذا العنوان هو الذي ذكره الصفدي(٧٦٤هـ) في الوافي (٢/ ٢٧١) وأعيان العصر(٤/ ٣٦٩)، وابن تغري بردي (٨٧٤هـ) في المنهل الصافي(٣/ ٦٢).

٢ ـ سفر الهجرتين في طريق السعادتين.

هذا العنوان أيضًا ورد في كتاب مدارج السالكين(١/ ٤٨٠) قال: «. . . ذكرناه في كتابنا المسمّى (سفر الهجرتين في طريق السعادتين) ». وغريب أن يختلف العنوان في كتاب واحد في موضعين متقاربين.

٣ ـ سفر الهجرتين وباب السعادتين.

ذكره تلميذه الحافظ ابن رجب (٧٩٥هـ) في ترجمته في ذيل طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٥). ومنه نقل ابن ناصر الدين (٨٤٢هـ) في الرد الوافر (٦٨) والداودي (٩٤٥هـ) في طبقات المفسرين (٢/ ٩٢) ومرعي بن يوسف الحنبلي (١٠٣٣هـ) في الشهادة الزكية (٣٤) وابن العماد (١٠٨٩هـ) في شذرات الذهب(٣/ ١٦٩).

٤ ـ سفر الهجرتين.

بهذا سمّاه المؤلف في موضعين في مدارج السالكين(١/ ٥٦٧) و(٢/ ٤٧). وهو ليس عنوانًا جديدًا، وإنما هو اختصار صالح للعناوين الثلاثة السابقة. وكذا ذكره السيوطي في بغية الوعاة(١/ ٦٣).

٥ ـ طرق السعادتين.

وهذا أيضًا جاء على وجه الاختصار. ولكن الذي يلفت النظر أن «الطريق» صارت هنا «طرقًا»، وكذا سمّاه الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) في الدرر الكامنة(٣/ ٤٠٢). وكلمة «طرق» ـ فيما يظهر ـ ليست تحريفًا في مطبوعة الدرر، بل كذا ورد في الأصل الذي بخط السخاوي. ثم كذا نقله الشوكاني (١٢٥٠هـ) منه في البدر الطالع (٢/ ١٤٤).

٦ ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين.

هذا العنوان ورد بخط المصنف مرتين في الأصل الذي اعتمدنا عليه في تحقيق هذا الكتاب: أولاً في صفحة العنوان، وثانيًا في مقدمة الكتاب التي قال فيها: «... وسميناه (طريق الهجرتين وباب السعادتين)، وابتدأناه بباب الفقر والعبودية، إذ هو باب السعادة الأعظم وطريقها الأقوم...».

ولعلّ الصيغ الثلاث الأولى التي ذكرها المؤلف ومعاصره الصفدي وتلميذه ابن رجب، كان المؤلف رحمه الله يميّل رأيه بينها، ثم استقرّ على العنوان الأخير الذي أثبته في المقدمة وفي صفحة العنوان.

وهذا العنوان هو الوارد في سائر النسخ الخطيّة إلاّ نسختين لا يعوّل عليهما. إحداهما نسخة الشيخ محمد بن إبراهيم الضويّان، وقد كتب

العنوان في الورقة الأولى : «كتاب سفر الهجرتين وباب السعادتين» مع أن العنوان المعروف هو الثابت في مقدمة المؤلف(ق ٢/ب)، فأخشى أن يكون ذلك من اجتهاد الناسخ. والنسخة الأخرى في مكتبة جامعة ليدن بخط حديث، وقد كتب اسم الكتاب في صفحة العنوان هكذا: «سفر الهجرتين وطريق السعادتين أو طريق الهجرتين وباب السعادتين».

تاريخ تأليف الكتاب

لم أجد في مخطوطات الكتاب أو غيرها نصًّا على التاريخ الذي فرغ المؤلف فيه من تأليف هذا الكتاب، ولكن أذكر فيما يلي بعض الإشارات التي تعين على تقديره.

خرج الإمام ابن القيم رحمه الله من السجن بعد وفاة شيخه فيه سنة ٧٢٨هـ. «وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن وبالتدبر والتفكر، ففتح عليه من ذلك خير كثير، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة. وتسلّط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف والخوض في غوامضهم. وتصانيفه ممتلئة بذلك»، كما يقول تلميذه الحافظ ابن رجب في ترجمته[1]. وإذا استعرضنا مؤلفات ابن القيم لم نجد كتابًا تصدق عليه كلمة ابن رجب هذه صدقها على كتابنا طريق الهجرتين وكتاب مدارج السالكين. فكلاهما وضع في علم السلوك، وهما يشهدان حقًّا بما أوتي المؤلف من «تسلّط» على الكلام في العلوم والحقائق التي تنقطع عندها العبارة، وتجفو عنها الإشارة، كما يقول أصحابها. فالظاهر أن الكتابين من الكتب التي ألّفت بعد خروج المؤلف من السجن سنة ٧٢٨هـ. وقد تبيّن ممّا سبق أن طريق الهجرتين ألّف قبل مدارج السالكين لأن المؤلف قد أحال في المدارج أربع مرات على كتابنا هذا.

ثم في طريق الهجرتين مبحث طويل في القدر، جاء على سبيل الاستطراد ولكنه طال جدًّا لأهميته البالغة. وللمؤلف كتاب مستقلّ في

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٣).

هذا الموضوع، وهو «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل». فلو كان ألفه قبل طريق الهجرتين لأحال عليه في هذا، ولم يسهب ذلك الإسهاب. وهذا ينبىء بأن شفاء العليل ألّف بعد طريق الهجرتين.

ويوجد في حاشية المؤلف على سنن أبي داود (١٢/ ٣١٥) بحث في القدر أيضًا، وهناك قال المؤلف: «وقد نظرت في أدلة إثبات القدر والردّ على القدرية والمجوسية، فإذا هي تقارب خمسمائة دليل. وإن قدر الله تعالى أفردت لها مصنّفًا مستقلاً، وبالله عزّ وجلّ التوفيق». وهذا الكتاب الذي نوى المؤلف تأليفه هو «شفاء العليل» المذكور. ومن حسن الحظ قد عرفنا تاريخ تأليف حاشية السنن، إذ نصّ المؤلف في خاتمته للكتاب أنه فرغ من تأليفه في مكة في آخر شوّال سنة ٧٣٢هـ. فلما جاء بحث القدر في طريق الهجرتين ولم يشر المؤلف إلى كتاب شفاء العليل ولا نيته لإفراد الموضوع بتأليف مستقلّ، وبدا له ذلك في أثناء تهذيب مختصر السنن والتعليق عليه الذي فرغ منه سنة ٧٣٢هـ = علمنا أن طريق الهجرتين ألّف قبل سنة ٧٣٢هـ. والله أعلم.

مقصد الكتاب

موضوع هذا الكتاب قواعد السلوك والسير إلى الله على المنهج الشرعي الذي بينه النبي ﷺ. فالمؤمن يجب عليه أن يوحد الله بعبادته ومحبته وخوفه ورجائه، وأن يكون قدوته في ذلك هو النبي ﷺ، فيتبع هديه وشرعه ومنهاجه. وهذان الأمران: إفراد الله بالعبادة، وإفراد الرسول بالمتابعة، هما المقصودان بالهجرتين في عنوان الكتاب. فيقول المؤلف رحمه الله في مقدمته: « فله ـ يعني للمؤمن ـ في كل وقت هجرتان: هجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية، والتوكل والإنابة، والتسليم والتفويض، والخوف والرجاء، والإقبال عليه، وصدق اللجأ والافتقار في كل نفَس إليه. وهجرة إلى رسوله في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة، بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفصيل محابّ الله ومرضاته، ولا يقبل الله من أحد دينًا سواه. وكل عمل سواه، فعيش النفس وحظّها لا زاد المعاد».

وقد عني المؤلف في كتبه ببيان أهمية الهجرتين في حياة المسلمين عناية بالغة، فتكلم عليهما في مواطن عديدة؛ لأنهما مضمون الشهادتين ومقتضاهما، ولا يقوم الإيمان والإسلام إلاّ بهما. فقال في مدارج السالكين (٢/ ٥٢٠): «ولله على كل قلب هجرتان، وهما فرض لازم له على [مدى] الأنفاس: هجرة إلى الله سبحانه بالتوحيد والإخلاص والإنابة والحب والخوف والرجاء والعبودية. وهجرة إلى رسوله ﷺ بالتحكيم له والتسليم والتفويض والانقياد لحكمه، وتلقي أحكام الظاهر والباطن من مشكاته، فيكون تقيده به أعظم من تقيد الركب بالدليل الماهر في ظلم الليل ومتاهات الطريق. فما لم يكن لقلبه هاتان الهجرتان فليحث على

رأسه الرماد، وليراجع الإيمان من أصله، فيرجع وراء، ليقتبس نورًا قبل أن يحال بينه وبينه، ويقال له ذلك على الصراط من وراء السور، والله المستعان».

وقد عقد فصلاً كاملاً في قصيدته النونية (٨٧٠) بعنوان «فصل في تعيّن الهجرة من الآراء والبدع إلى سنّته، كما كانت فرضًا من الأمصار إلى بلدته ﷺ» يشتمل على ٥٧ بيتًا، افتتحه بقوله:

ياقوم فرضُ الهجرتين بحاله   واللهِ لم يُنسخ إلى ذا الآنِ

فالهجرة الأولى إلى الرحمن بالـ   إخلاص في سرّ وفي إعلان

إلى أن قال:

والهجرة الأخرى إلى المبعوث بالـ   إسلام والإيمان والإحسان

وفي رسالته التي بعث بها من تبوك إلى أصحابه بالشام، أفاض القول في بيان أهمية الهجرتين بأسلوب أدبي بليغ، وذكر أن الهجرة إلى الله ورسوله فرض عين على كل أحد في كل وقت، وهي مطلوب الله ومراده من العباد. وهذه الهجرة هي الهجرة الحقيقية، وهي الأصل، وهجرة الجسد تابعة لها. وبعد ما فسّر الهجرة إلى الله قال: « والذي يُقضى منه العجب أنّ المرء يوسّع الكلام، ويفرّع المسائل في الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وفي الهجرة التي انقطعت بالفتح، وهذه هجرة عارضة ربما لا تتعلق به في العمر أصلاً. وأما هذه الهجرة التي هي واجبة على مدى الأنفاس [فإنه] لا يحصل [فيها] علمًا ولا إرادة. وما ذاك إلا للإعراض عما خلق له والاشتغال عما لا ينجيه غيره» (٢٠ ـ ٢١).

وأما الهجرة إلى الرسول ﷺ فكلام المؤلف عليها في الرسالة

المذكورة ينطوي على تألم شديد لما آل إليه أمر المسلمين في عهده من إعراض عن سنة الرسول ﷺ في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم، واشتغال بأفكار ومذاهب وبدع وعادات ما أنزل الله بها من سلطان، فقال: «وأمّا الهجرة إلى الرسول ﷺ، فمعلم لم يبق منه سوى رسمه، ومنهج لم تترك منه بنيّات الطريق سوى اسمه، ومحجّة سفت عليها السوافي فطمست رسومها، وأغارت عليها الأعادي فغوّرت مناهلها وعيونها. فسالكها غريب بين العباد، فريد بين كل حيّ وناد، بعيد على قرب المكان، وحيد على كثرة الجيران، مستوحش ممّا[به] يستأنسون، مستأنس ممّا به يستوحشون... والمقصود أن هذه الهجرة النبوية شأنها شديد، وطريقها على غير المشتاق وعير بعيد» (٢١ ـ ٢٢).

ثمّ بين حدّ هذه الهجرة بقوله: «فحدّ هذه الهجرة: سفر الفكر في كل مسألة من مسائل الإيمان، ونازلة من نوازل القلب، وحادثة من حوادث الأحكام إلى معدن الهدى، ومنبع النور المتلقى من فم الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾. فكل مسألة طلعت عليها شمس الرسالة وإلا فاقذف بها في بحار الظلمات، وكل شاهد عدّله هذا المزكّي الصادق وإلاّ فعدّه من أهل الريب والشبهات. فهذا هو حدّ هذه الهجرة» (٢٣ ـ ٢٤).

فهذه الهجرة شاملة محيطة بحياة المؤمن كلها. فلا تخصّ جانبًا منها دون جانب، ولا يحتاج إليها في وقت دون وقت. وليست أهميتها في أحكام الفقه أكثر منها في مسائل الاعتقاد ومنازل السلوك ومقامات الإحسان. بل لها أهمية خاصة في وادي السلوك، فإن المقرر عند كثير من أصحابه أنّ الشرع فيه معزول، والعقل فيه معقول، والحكم فيه

للذوق والوجدان والكشف والإلهام، لا للشرع والحجة والبرهان. فالشريعة شيء، وأصحابها أصحاب الظاهر. والطريقة شيء، وأصحابها أصحاب الباطن. هذا علم الصدور، وذاك علم السطور. هذا علم اللبّ وذاك علم القشور. بل هذا العلم حجاب دون ذلك العلم. وبهذا التفريق المزعوم قد انفسح مجال الانحراف والضلال في علم السلوك الذي هو أهمّ العلوم، فإن سعادة الإنسان في الدارين منوطة به، وانفتح الباب لكل دخيل غريب، فتشعبت الطرق، وكثرت المزالق، ولا نهاية للترّهات بعد العدول عن قصد السبيل وسواء الصراط.

فالهجرة الثانية ـ وهي الهجرة إلى ما جاء به الرسول ﷺ من الكتاب والسنة واتباعُه في كل منازل السلوك ـ هي التي توصل العبد إلى الله، وتصونه عن الجور والانحراف، وتضمن له السعادة في الدنيا والآخرة. يقول المؤلف رحمه الله في مقدمة هذا الكتاب: «ولما كانت السعادة دائرة نفيًا وإثباتًا مع ما جاء به كان جديرًا بمن نصح نفسه أن يجعل لحظات عمره وقفًا على معرفته، وإرادته مقصورة على محابّه. وهذه أعلى همة شمّر إليها السابقون، وتنافس فيها المتنافسون. فلا جرم ضمنّا هذا الكتاب قواعد من سلوك طريق الهجرة المحمدية».

فهذا هو مقصود الكتاب، ولكن كيف تناوله المؤلف، وما المباحث التي اشتمل عليها الكتاب؟ هذا سنبينه في الصفحات الآتية.

ترتيب الكتاب وبعض مباحثه المهمّة

قد رتب المؤلف رحمه الله معظم كتبه على المنهج المألوف، فقسمها إلى أبواب أو فصول أو مسائل تقسيمًا محكمًا، وصرّح بعددها، وسرد عناوينها في مقدمة الكتاب؛ كما ترى في شفاء العليل، وإغاثة اللهفان، وروضة المحبين، وعدة الصابرين، وغيرها. وقد أشار إلى اجتهاده في الترتيب والتبويب في مقدمة كتاب حادي الأرواح إذ قال: «وهذا كتاب اجتهدت في جمعه وترتيبه وتفصيله وتبويبه... وقد قسمت الكتاب سبعين بابًا». ثم ذكر عناوينها كلها.

أمّا كتابنا هذا فلم يرتبه ذلك الترتيب. بل اقتصر في مقدمته على الإشارة إلى مبحثين، وهما المبحث الأول والمبحث الأخير من الكتاب فقال: «وابتدأناه بباب الفقر والعبودية، إذ هو باب السعادة الأعظم وطريقها الأقوم الذي لا سبيل إلى دخولها إلا منه، وختمناه بذكر طبقات المكلفين من الجن والإنس في الآخرة ومراتبهم في دار السعادة والشقاء. فجاء الكتاب غريبًا في معناه، عجيبًا في مغزاه...».

وهذه نظرة في البناء العام للكتاب:

١ ـ خطبة الكتاب (٥ ـ ١١).

٢ ـ «فصل» في الفقر والغنى(١٢ ـ ١١٥).

٣ ـ «قاعدة شريفة عظيمة القدر حاجة العبد إليها أعظم من حاجته إلى الطعام والشراب والنفس، بل وإلى الروح التي بين جنبيه» في كون الله سبحانه هو المطلوب المعبود المحبوب وحده لا شريك له، وهو وحده المعين للعبد على حصول مطلوبه. (١١٦ ـ ٣٤٦).

٤ ـ «قاعدة» في أن كمال العبد وصلاحه يتخلف عنه من إحدى جهتين(٣٤٧).

٥ ـ «قاعدة» في الابتلاء (٣٤٨ ـ ٣٤٩).

٦ ـ «قاعدة في مشاهد الناس في المعاصي والذنوب» (٣٥٠ ـ ٣٧٢).

٧ ـ «قاعدة» في الإنابة ودرجاتها (٣٧٣ ـ ٣٧٦).

٨ ـ «قاعدة في ذكر طريق قريب موصل إلى الاستقامة في الأحوال والأقوال والأعمال» (٣٧٧ ـ ٣٨٢).

٩ ـ «قاعدة شريفة» في أن الطريق إلى الله واحد(٣٨٣ ـ ٣٩٦).

١٠ ـ «قاعدة» في أن السير إلى الله لا يتم إلا بقوتين علمية وعملية (٣٩٧ ـ ٤٠٢).

١١ ـ «قاعدة نافعة» في أقسام العباد في سفرهم إلى الدار الآخرة، ووصف أحوالهم (٤٠٣ ـ ٧٦٠).

١٢ ـ «فصل في مراتب المكلّفين في الدار الآخرة وطبقاتهم فيها. وهم ثمان عشرة طبقة» (٧٦١ ـ ٩٣١).

ونلاحظ هنا أن المؤلف لم يذكر موضوع الفصل أو القاعدة إلاّ في ثلاثة مواضع(٦، ٨، ١٢). وفي غيرها اكتفى بكلمة «فصل» أو«قاعدة» أو «قاعدة شريفة» أو «قاعدة نافعة».

أما حجم هذه القواعد، فالقاعدة الأولى جاءت في ٢٣٠صفحة، والقاعدة الأخيرة في ٣٥٧ صفحة. وبين هاتين القاعدتين الكبيرتين سبع

قواعد لطيفة تراوح حجمها بين ٦ أسطر و٢٢ صفحة. والقواعد التسع وقعت بين فصلين استغرق أحدهما ١٠٤ صفحة والآخر ١٧٠ صفحة. وتحت كل فصل وقاعدة ـ إلاّ القواعد القصار ـ فصول كثيرة تطول أو تقصر حسب مقتضى الكلام.

هذا البناء العام للكتاب قد انطوى على عدد كبير من المباحث العظيمة والمطالب الشريفة والمسائل المشكلة، يستحق بعضها أن يفرد بالتأليف، وبعضها إذا استخرج من هذا الكتاب صار رسالة مستقلة في موضوعها. ونشير هنا بصفة خاصة إلى مبحثين عظيمين، قد وردا في الظاهر عرضًا، ثم استتبع الكلام عليهما مسائل أخرى، وسيقف القارىء من خلال عرضهما على بعض طرائق المؤلف رحمه الله في التأليف.

١ ـ مبحث في القضاء والقدر:

هذا المبحث الذي جاء استطرادًا استغرق نحو ٢١٠ صفحة (١٣٧ ـ ٣٤٦)، ومن المعلوم أن للمؤلف كتابًا مفردًا في هذا الموضوع كما سبق، ولكن الظاهر أنّه لم يكن ألفه إلى ذلك الحين، وإلاّ لأحال عليه، وأوجز الكلام على المسألة حسب الاقتضاء. فلننظر كيف تطرق الحديث إلى هذا الموضوع؟

ذكر المؤلف في أحد فصول القاعدة الأولى أن الإنسان ليس عالمًا بمصلحته ولا قادرًا عليها، والله تعالى هو الذي يعلم ويقدر، ويحب الجود والبذل، ويعطي من فضله لا لمعاوضة ولا لمنفعة، فإذا حبس فضله عن الإنسان فهناك أمران لا ثالث لهما. وذكر الأمر الأول وهو أن يكون الإنسان نفسه واقفًا في طريق مصالحه ومعوقًا لوصول فضله إليه. فإن نعمة الله لا تنال إلا بطاعته ولا تستدام إلا بشكره، فآفته من نفسه

وبلاؤه منه. ثم قال(١٣٧): «فإن أصررت على اتهام القدر وقلت: فالسبب الذي أُصبتُ به وأُتِيتُ منه ودُهيت منه قد سبق به القدر والحكم، وكان في الكتاب مسطورًا، فلا بدّ منه على الرغم منّي. . .». وهكذا فتح المؤلف لنفسه بابًا واسعًا للكلام على القدر. فأورد على لسان هذا المحتج بالقدر ما جاء في إثبات القدر من الآيات والأحاديث والآثار. ولما اختلفت الروايات في وقت كتابة المقدور للجنين عقد فصلاً في الجمع بينها، ثم عاد إلى سرد الأحاديث الأخرى في إثبات القدر.

وبعدما فرغ من ذلك شرع في الردّ على الذي احتج بالقدر فقال(١٧٨): «فالجواب أن ههنا مقامين: مقام إيمان وهدى ونجاة، ومقام ضلال وردى وهلاك. زلّت فيه أقدام فهوت بأصحابها إلى دار الشقاء. . .». فهذا الجواب في ص(١٧٨) عن قوله: «فإن أصررت على اتهام القدر. . .» الذي سبق في ص(١٣٧). وقد ذكر في مقام الضلال حكايات وأقوالاً للمحتجين بالقدر من خصماء الله، ثم نقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية أن القدرية المذمومين في السنة وعلى لسان السلف ثلاث فرق: القدرية النفاة، والقدرية الإبليسية، والقدرية المشركية. وذكر أن أربعة مواضع في القرآن بين سبحانه فيها أن الاحتجاج بالقدر من فعل المشركين، وأن الناس تفرقوا في الكلام على هذه الآيات أربع فرق، وبيّن مذاهبها. ثم ذكر مراتب القضاء والقدر عند أهل السنة والجماعة، وأوضح صلة القدر بالقدرة والعلم والحكمة وقال(١٩٩): «فكما لا يخرج مقدور عن علمه وقدرته ومشيئته، فهكذا لا يخرج عن حكمته وحمده، وهو محمود على جميع ما في الكون من خير وشر حمدًا استحقه لذاته، وصدر عنه خلقه وأمره، فمصدر ذلك كله عن الحكمة».

وهنا واجه مسألة كبيرة أخرى من المعضلات، قد أشكلت على الفلاسفة وغيرهم من أصحاب الديانات والمقالات قديمًا وحديثاً، فخبطوا فيها خبط عشواء. هي مصدر الشرّ الموجود في العالم وحكمة خلق الأضداد. فناقش المؤلف هذه المسألة من وجوه مختلفة، وأعاد فيها وأبدأ ذاكرًا مذاهب الناس في دخول الشر في القضاء الإلهي، والأصول التي تفرّعت عنها تلك المذاهب، وفي أثنائها تعرض لمسألة إيلام الأطفال والبهائم. وفي الأخير نقل فصلاً لفخر الدين الرازي في هذه المسألة من كتابه المباحث المشرقية، وعقّب عليه.

وقد اتضح من هذا العرض المقتضب لمسألة القضاء والقدر وما يتصل بها كيف تطرق الكلام إليها، ثم اقتضى خطرها وكثرة التنازع فيها أن يتوسع في مناقشتها. ولعلك تذكر قول المؤلف في بداية الفصل أنّ الله سبحانه لا يحبس فضله عن الإنسان إلا لأمرين، وأنه ذكر الأمر الأول الذي قاده إلى هذه المسألة العظيمة الواسعة الأطراف، فذهب عليه مع استطالة الكلام أن يذكر الأمر الثاني. وهذا الموضع ومواضع أخرى تدلّ على أن المؤلف رحمه الله لم يتمكن من إعادة النظر في الكتاب بعد تسويده.

٢ ـ نقد كتاب محاسن المجالس لابن العريف في علل المقامات

أبوالعباس أحمد بن محمد بن موسى الصنهاجي الأندلسي المعروف بابن العريف من أكابر صوفية الأندلس. ولد في المرية، ومات في مرّاكش. كانت له عناية بالقراءات ومشاركة في عدة علوم. وكان أديبًا شاعرًا، وكانت بينه وبين القاضي عياض مكاتبات حسنة[1]. وله كتاب

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ١٦٨ ـ ١٦٩).

في علل المقامات سمّاه «محاسن المجالس». وقد نشره المستشرق الإسباني آسين بلاسيوس في باريس ١٩٣٣م. وعن هذه النشرة أعاد نشره نهاد خياطة في مجلة المورد العراقية (المجلد١٩ العدد ٤ سنة ١٩٨٠) وجاء النص فيها في ٢٥ صفحة. فهو كتاب لطيف. وقد ذكر شيخ الإسلام أنه اعتمد فيه على كتاب «علل المقامات» للشيخ الهروي، فقال في كلام له على التوكل: «فقد تبيّن أنّ من ظنّ التوكل من مقامات عامّة أهل الطريق فقد غلط غلطًا شديدًا، وإن كان من أعيان المشايخ كصاحب «علل المقامات»، وهو من أجلّ المشايخ. وأخذ ذلك عنه صاحب «محاسن المجالس» »[(١)].

ويؤكد ذلك المقارنة بين محاسن المجالس ومنازل السائرين. ونذكر هنا مثالاً واحدًا من فصل الرجاء. قال صاحب المنازل: «الرجاء أضعف منازل المريدين، لأنه معارضة من وجه، واعتراض من وجه. وهو وقوع في الرعونة في مذهب هذه الطائفة إلا ما فيه من فائدة واحدة نطق بها التنزيل والسنة، ودخل في مسالك المحققين. وتلك الفائدة هي كونه يبرّد حرارة الخوف حتى لا يفضي بصاحبه إلى الإياس». ثم ذكر درجاته حسب طريقته[(٢)].

وقال صاحب المجالس: «وأما الرجاء فهو من منازل العوام. وهو انتظار غائب وطلب مفقود، وهو من أضعف منازل القوم في هذا الشأن؛ لأنه معارضة من وجه، واعتراض من وجه آخر. وهو وقوع في الرعونة. ولفائدة واحدة نطق بها التنزيل فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٥).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٥٦).

يريد على العوض من أجر المجاهدة. وقال: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾ ، ووردت به السنة لفائدة واحدة، وهي تبريد حرارة الخوف لئلا يفضي بصاحبه إلى اليأس والقنوط. فهو دواء لمرض الخوف، ولا يعرض ذلك المرض إلاّ لعوام هذه الطائفة...».

فالنصان متفقان في الفكر وكثير من الألفاظ والتعبيرات، مع أنه ليس بين أيدينا كتاب علل المقامات للهروي، وإنما نقلنا كلامه من منازل السائرين.

وقد ذكر ابن عبدالهادي أنّ لشيخ الإسلام «قاعدة على كلام ابن العريف في التصوف»[1] ولا نعرف خبرًا عن هذه القاعدة، ولا ندري أتكلم فيها على كتابه محاسن المجالس هذا أم على غيره.

يشتمل كتاب المحاسن على فاتحة، و١٣ فصلاً، وخاتمة في أربعين كرامة يكرم الله بها أولياءه في الدنيا والآخرة. والفصل الأول في المعرفة والعلم، ثم عشرة فصول في الإرادة، والزهد، والتوكل، والصبر، والحزن، والخوف، والرجاء، والشكر، والمحبة، والشوق. وجعلها جميعًا من منازل عوام السالكين، وقرّر أنها علل أَنِف الخواص منها. ثم عقد الفصل الثاني عشر في منازل الخاصة، وذكر فيه حقيقة زهدهم وتوكلهم وصبرهم...» إلى آخر المقامات. والفصل الثالث عشر في النظر إلى الله تعالى.

لم يتعرض ابن القيم للفصلين الأول والثالث عشر ولا للخاتمة.

---

(١) العقود الدرية (١/ ٥٧).

وإنما تكلم على الفصول التي بين الفصلين المذكورين. لأن غرضه ـ وهو الكلام على علل المقامات ـ كان متعلقًا بها. وقد استغرق الكلام عليها نحو ٢٨٠ صفحة من نشرتنا هذه، أي نحو ثلث الكتاب. فهو بمنزلة رسالة مستقلة في نقد كتاب ابن العريف. وإذا كان المبحث السابق وهو القضاء والقدر وما إليه قد يشعر القارىء باستطالته مع خطره وجلالته، وبأن ابن القيم رحمه الله لو كان ألّف كتابه الكبير من قبل لأحال عليه وأوجز القول هنا، كما فعل في حاشيته على السنن= فإن هذا المبحث ـ وهو علل المقامات ـ قد وقع في حاقّ موضعه، وهو من صميم موضوع الكتاب. وذلك لأن هذه المقامات هي مقامات السلوك ومنازله، فيجب على السالك أن يعرف عللها وقوادحها، فيتجنبها ويتحاشاها، لينجح مسعاه ويحمد مسراه.

ومن المصائب أن جميع المقامات التي ذكرت في الكتاب والسنة، ووصف بها الأنبياء وغيرهم من عباد الله الصالحين قد جعلها أرباب الطرق معلولة ومن مقامات العوامّ من السالكين. ومراتب الخاصة فوقها، ثم مراتب خاصّة الخاصّة. فلم يكن محيص من التعرض لهذه العلل في هذا الكتاب الذي قصد به بيان قواعد السلوك الشرعي.

وكان من السهل أن يعقد ابن القيم رحمه الله بابًا كاملاً في علل المقامات، ولكنه لم يفعل، بل جاء كلامه عليها عرضًا في الظاهر، كأنه لم يصمد إليها صمدًا، ولم يكن ذلك من همّه ووكده. ولعل هذا رفق منه بقارىء كتابه، وتلطف وإيناس له، لكيلا يستوحش من البداية، فينفر نفورًا. فلننظر كيف دلف ابن القيم إلى هذا البحث النفيس الخطير.

عقد ابن القيم فصلاً (٤٠٣) بعنوان «قاعدة نافعة»، وذكر أن الإنسان

من حين استقرت قدمه في الدنيا فهو مسافر فيها إلى ربه، ومدة سفره هو عمره الذي كتب له. والناس في سفرهم هذا إما مسافرون إلى دار الشقاء وإما إلى دار السلام. والسائرون إلى دار السلام ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات. والسابقون بالخيرات نوعان: أبرار ومقربون.

ثم عقد فصلاً في مسألة أن أصحاب اليمين هل هم الأصناف الثلاثة (المقتصدون والأبرار والمقربون) أو يدخل فيهم الظالمون لأنفسهم أيضًا. وفصّل القول فيها على طريقته من ذكر خلاف العلماء وأدلتهم وردودهم في نحو ٣٢ صفحة، ثم رجع فقال: «والمقصود الكلام على مراحل العالمين وكيفية قطعهم إياها، فلنرجع إليه فنقول...» (٤٤١).

ثم وصف حال الأصناف المذكورة، وأفضلها وأعلاها: السابقون المقربون. وقد تواضع ابن القيم فاعتذر واستغفر قبل وصف حالهم قائلاً: «وأما السابقون المقربون، فنستغفر الله الذي لا إله إلا هو أولاً من وصف حالهم وعدم الاتصاف به، بل ما شممنا له رائحة، ولكن محبة القوم تحمل على تعرف منزلتهم والعلم بها. وإن كانت النفوس متخلفة منقطعة عن اللحاق بهم، ففي معرفة حال القوم فوائد عديدة» (٤٤٦).
وبعد ذكر هذه الفوائد شرع في وصف حالهم من الجهتين: جهة الإرادة والعمل، وجهة العلم والمعرفة. فلما وصف حالهم مع الأقدار التي تصيبهم بغير اختيارهم بأنهم يقابلونها بمقتضاها من العبودية ذكر أنهم فيها على ثلاث مراتب: إحداها الرضا عنه فيها والمزيد من حبه والشوق إليه. والمرتبة الثانية شكره عليها كشكره على النعم. وهذا فوق الرضا عنه بها، ومنه ينتقل إلى هذه المرتبة، والمرتبتان لأهل هذا الشأن.

والثالثة للمقتصدين، وهي مرتبة الصبر التي إذا نزل منها نزل إلى نقصان الإيمان وفواته. ثم قال: «فالصبر أول منازل الإيمان ودرجاته، وأوسطها، وآخرها. فإن صاحب الرضا والشكر لا يعدم الصبر في مرتبته، بل الصبر معه، وبه يتحقق الرضا والشكر، لا تصور ولا تحقق لهما دونه. وهكذا كل مقام مع الذي فوقه، كالتوكل مع الرضا، وكالخوف والرجاء مع الحب. فإن المقام الأول لا ينعدم بالترقي إلى الآخر... وإنما يندرج حكمه في المقام الذي هو أعلى منه» (٤٧٧).

ولما وصل هنا قال: «فتأمل هذا الموضع وأعطه حقه يزُل عنك ما يعرض من الغلط في علل المقامات، وتعلم أن دعوى المدعي أنها من منازل العوام ودعوى أنها معلولة غلط من وجهين». وبعد ذكرهما قال: «ولنذكر لذلك أمثلة». وهذا هو المدخل لنقد كتاب ابن العريف، فذكر المثال الأول في الإرادة وقال: إن الله جعلها من منازل صفوة عباده، وقالت طائفة: «الإرادة حلية العوام...» (٤٧٩). ونقل كلامًا طويلاً لابن العريف من كتابه محاسن المجالس ولكن لم يسمّه هنا، بل جعله قول «طائفة» لأن المقصود نقد مذهب، لا نقد شخص بعينه. ثم تكلم عليه من اثني عشر وجهًا.

وفي الفصل الثاني ذكر المثال الثاني وهو في الزهد وهنا فجأة قال: «قال أبوالعباس رحمه الله» (٤٩٢). ولكن من أبوالعباس هذا؟ لا يعرف القارئ شيئًا عنه إلى أن يصل بعد استطرادات مهمة إلى ص(٥٤٥). فيجده يقول: «ولنرجع الآن إلى المقصود، وهو الكلام على ما ذكره أبوالعباس ابن العريف في علل المقامات، فقد ذكرنا كلامه في علة مقام الإرادة والكلام عليه، وذكرنا كلامه في مقام الزهد وقوله إنه من مقامات

العامة، وذكرنا أن الكلام على ذلك من وجوه، هذا آخر الوجه الثاني منها. والوجه الثالث: . . .».

وهكذا تكلم ابن القيم على فصل فصل من كتاب محاسن المجالس حتى إذا وصل إلى فصل المحبة قال: «والمقصود: الكلام على علل المقامات وبيان ما فيها من خطأ وصواب. ولما كان أبوالعباس ابن العريف رحمه الله قد تعرض لذلك في كتابه «محاسن المجالس» ذكرنا كلامه فيه وما له وما عليه. ثم ذكر بعدها فصلاً في المحبة وفصلاً في الشوق، فنذكر كلامه في ذلك وما يفتح الله به تتميمًا للفائدة، ورجاء للمنفعة وأن يمنّ الله العزيز الوهاب بفضله ورحمته، فيرقي عبده من العلم إلى الحال، ومن الوصف إلى الاتصاف، إنه قريب مجيب» (٦٣٩).

فانظر كيف تدرّج ابن القيم رحمه الله بقارئه، فقال له أولاً: إنه سيذكر أمثلة من علل المقامات، وذكر مثال الإرادة، ونقل (٤٧٩) كلام «طائفة» (وهو فصل من كلام ابن العريف). وفي المثال الثاني قال(٤٩٢): «قال أبوالعباس». وفي المثال الثالث زاد في تعريفه، فقال(٥٤٥): «أبوالعباس بن العريف». وبعد المثال السادس ذكر(٦٣٩) مع اسمه اسم كتابه أيضًا، فجاءت الإحالة إحالة كاملة. فهل هذا اتفاق أو أسلوب من أساليب التأليف عند ابن القيم رحمه الله؟ أراني أميل إلى الأمر الثاني. ولعلّ تطرّقه في كتاب «مدارج السالكين» إلى شرح «منازل السائرين» للهروي ونقده أيضًا من هذا.

وبقي سؤال، وهو أنّ ابن العريف قد اعتمد في كتابه على كتاب علل المقامات للشيخ الهروي كما ذكر شيخ الإسلام. وقد أشار إليه ابن القيم أيضًا في مدارج السالكين حينما نقل كلام ابن العريف ـ دون تسميته ـ في

التوكل نموذجًا لكلام هذه الطائفة في علل المقامات، وردّ عليه، ثم قال(٣/ ٤٧١) «وهكذا الكلام في سائر علل المقامات، وإنما ذكرنا هذا مثالا لما يذكر من عللها، وقد أفرد لها صاحب المنازل مصنّفًا لطيفًا وجعل غالبها معلولاً». فلماذا اختار ابن القيم للنقد والنقض كتاب ابن العريف، وترك كتاب الهروي الذي هو الأصل؟ يبدو أن ابن القيم لم يقف على كتاب الهروي لا سيما عند تأليفه طريق الهجرتين ومدارج السالكين.

أهمية الكتاب

تكمن أهمية هذا الكتاب بالدرجة الأولى في أمرين معًا، وهما: موضوعه، ومؤلفه. فالموضوع ـ كما سبق ـ بيان قواعد السلوك والسير إلى الله على المنهج الذي شرعه الله ورسوله، لأن سعادة العبد في الدارين منوطة بهذا السير المستقيم. ولكن الموضوع متداول مطروق في كتب الصوفية، وكلهم يزعم أن القواعد التي يذكرها مؤسسة على الكتاب والسنة. وهنا يكتسب الكتاب أهميته من الأمر الثاني وهو أنه من تأليف إمام ربّاني يصدر في كل مسألة عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. وهو مع تمسكه الشديد بالكتاب والسنة مطلع على كتب القوم، عارف بغوامضها، قادر على الخوض في دقائقها، ذائق لأحوال السالكين، مشرف على مقامات العارفين، ومن الزهد والورع والتعبد والتألّه في مكان مكين. هذا إلى العدل والنصفة في النقد والحكم، وعدم التحيز إلى فرقة أو حزب أو مذهب. فكون هذا الكتاب في بيان قواعد السلوك المحمدي، ومن تأليف الإمام ابن القيم رحمه الله هو الذي أضفى عليه أهمية بالغة. والحقيقة أن كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله في تزكية النفس وطب القلوب لتؤلف «منظومة» لا نظير لها في المكتبة الإسلامية.

أمّا المباحث الجليلة التي اشتمل عليها الكتاب فقد سبقت الإشارة إلى أهمية بعضها في الفقرة السابقة. وقد نبّه المؤلف نفسه رحمه الله ـ نصحًا لقارىء كتابه وشفقة عليه ـ على أهمية بعض المباحث، نحو قوله خلال الكلام على طبقات المكلفين في الدار الآخرة: «ولا يدري قدر الكلام في هذه الطبقات إلا من عرف ما في كتب الناس، ووقف على

أقوال الطوائف في هذا الباب، وانتهى إلى نهاية مرامهم ونهاية إقدامهم» (٩٠٢).

وهكذا في فصل التوكل ختم بيانه لسرّ الاقتران بين التوكل والهداية والحق في القرآن الكريم بقوله: «فتدبّر هذا السر العظيم في اقتران التوكل والكفاية بالحق والهدى، وارتباط أحدهما بالآخر. ولو لم يكن في هذه الرسالة إلاّ هذه الفائدة السَّرِيَّة لكانت حقيقة أن تودع في خزانة القلب لشدة الحاجة إليها»(٥٦١).

والمباحث التي وردت في غضون الكلام استطرادًا، قد نبّه المؤلف رحمه الله على أن أهميتها هي التي اقتضت تناولها، بل كان بعض المباحث المعترضة أهم من المبحث الأصلي. فقال في موضع: «ولولا أن هذه المواضع أهم مما كلامنا بصدده ـ من ذكر مجرد الطبقات ـ لم نذكرها، ولكنها من أهم المهم» (٨١١). ولما عاد إلى المقصود بعد بسط الكلام على آيات الإنفاق من سورة البقرة قال: «ولنعد إلى المقصود، فإن هذا من سعي القلم، ولعله أهم مما نحن بصدده» (٨٢٤).

ولقد أحسن المصنف رحمه الله إذ توقف عند هذه المباحث المهمة وتناولها بالبسط، فهذا الاستطراد ينفع القارىء بعض الأحيان نفعًا عظيمًا. فقد حفظ بفضله كلام شيخ الإسلام وابن القيم وغيرهما في كثير من المسائل العظيمة.

ومع ذلك لا يظن القارىء أن المؤلف رحمه الله كان زمامه بيد الاستطراد يقوده أنّى شاء. فإذا كانت المسألة تقتضي كلامًا مستفيضًا متشعبًا يكتفي المؤلف بالإشارة إليه ولا يخوض فيه. ومن ذلك أنه لما

ذكر من أصول المعتزلة «النبوة» قال: «مع أنهم لم يوفوها حقّها، بل هضموها غاية الهضم من وجوه كثيرة ليس هذا موضعها»(٨٣٦). وهكذا لما ذكر مذاهب الفرق في الطبقة التي رجحت سيئاتها على حسناتها قال: «ولولا أن المقصود ذكر الطبقات لذكرنا ما لهذه المذاهب وما عليها، وبيّنا تناقض أهلها»(٨٤٠).

وفي تفسير آيات الإنفاق لما وصل إلى آية الدين قال: «ولولا أن هذه الآية تستدعي سفرًا وحدها لذكرت بعض تفسيرها». (٨٢٣).

موارد الكتاب

بالإضافة إلى نصوص القرآن والأحاديث والآثار، يتضمن الكتاب نقولاً من كتب التفسير والحديث والتصوف، وأقوالاً وأشعارًا ومذاهب واحتجاجات لأصحاب المقالات ورجال الفرق. فلا شكّ أن المصنف رحمه الله كان بين يديه عدد كبير من المصادر التي وقف عليها، منها ما وصل إلينا، ومنها ما لم يصل، وبعض ما وصل ليس بين أيدينا، فليس من السهل أن يكشف عنها جميعًا. ثم لم يكن من منهج العلماء عمومًا التزام الإحالة في كل ما يوردونه في مصنفاتهم من أقوال ومذاهب. ثم المصادر في زمنهم كانت متوافرة، وكثير من تلك الأقوال والمذاهب معروفة لأصحابها، والثقة بالناقل قائمة، فكأنّهم كانوا يرون من التكلف كلّما ذكر مؤلف قولاً من الأقوال أن يصرّح باسم الكتاب الذي نقله منه، بل قد لا يرى داعيًا إلى تسمية القائل نفسه فضلاً عن مصدر قوله، بل قد يتعمد إغفال اسمه لأمر ما.

ولنضرب مثالاً من كتابنا هذا، ليتضح القصد. عقد المؤلف رحمه الله فصلاً في ذكر كلمات عن أرباب الطريق في الفقر والغنى (٩٦ ـ ١٠٥) أورد فيه أكثر من عشرين كلمة للمشايخ مع التعليق عليها. وهذه كلها مأخوذة من كتاب واحد، وهو الرسالة القشيرية، ولكن لم يشر المؤلف إليها. نعم ذكر في موضع الأستاذ أبا القاسم القشيري، ولكن لا لبيان مصدر الأقوال، بل لأن أباالقاسم علّق على كلمة للمظفر القرميسيني، ورأى المؤلف أن في الكلمة شطحًا وفي التعليق غموضًا وخلطًا، مما يستوجب التعقيب، فعقّب عليهما وأبان وجه الصواب. فنلاحظ هنا أن ابن القيم رحمه الله لم يشر إلى مصدر الأقوال لأن غرضه

كان متعلقًا بالأقوال نفسها، وقد نقلها من مصدرها بأمانة تامة.

أما تعليق أبي القاسم فكان بإمكان ابن القيم أن يحيل هنا على رسالته أيضًا، ولكنه لم يفعل، وذلك فيما يبدو نظرًا لشهرة الرسالة، وثقةً بفطنة القارىء.

وبعد، فهما طريقان مألوفان للإشارة إلى المصادر، فيصرح حينًا باسم الكتاب، وحينًا آخر يسمّى صاحب الكتاب دون كتابه، وبعض الأحيان يغفل الإحالة. وقدّمنا هذا التنبيه لكيلا يظن القارىء أن الموارد التي سنشير إليها في هذا المبحث هي كل موارد الكتاب أو جلّها، فإنّ الناظر في الكتاب يكاد يجزم أن ما لم يذكر هنا يبلغ عدده أضعاف ما ذكر. هذا، وربما استفاد المؤلف بعض النقول بواسطة.

ونذكر أولاً أسماء الكتب المذكورة في المتن ثم أسماء المؤلفين الذين لم تذكر كتبهم، ثم نقول المؤلف عن شيخه ابن تيمية رحمه الله.

*** أولاً: الكتب**

أثبتنا بجانب اسم الكتاب أرقام الصفحات التي نصّ فيها على اسمه. ولمعرفة المواضع الأخرى التي نقل فيها عن مؤلفه دون تسمية كتابه المذكور، يراجع فهرس الأعلام.

- تفسير ابن مردويه (٢٦٢، ٤٢٨، ٤٣٧).

- تفسير منذر بن سعيد (٤١٤).

- خلق أفعال العباد للبخاري (٢٩٥).

- الرد على الجهمية للإمام أحمد (٧٧١).

- السنة للطبري (١٤٩).

- السنن الأربعة (١٦٥).

- سنن الترمذي (١٦٦، ١٦٨، ١٧٠، ٥٤١، ٦٢٦، ٦٨٦، ٧٨٤، ٩٢٠).

لم يسمّ المؤلف كتاب الترمذي، ولكن قوله الترمذي بمنزلة تسمية كتابه، وهكذا في كتب الحديث الأخرى.

- سنن أبي داود (١٦٤).

- السنن الكبرى للنسائي (٤٤٤، ٧٢١، ٧٤١).

- سنن ابن ماجه (١٦٢، ١٦٤).

- الصحيحان (١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٥، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ٦٨٧، ٨٤٢، ٨٦٠، ٨٧٣).

- صحيح البخاري (١٦٢، ١٦٣، ٢٠٣، ٤٦٢، ٦١٩، ٧٨٢، ٨٠٦، ٨٥٠، ٨٥٢، ٩١٠).

- صحيح مسلم (١٣٩، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٥، ١٧٠، ٣٨٤، ٥٣٥، ٥٣٩، ٦٢٤، ٨٥٦، ٨٦٣).

- صحيح الحاكم (١٢٤).

- صحيح ابن حبان (١٢٤، ٥٧٨، ٨٤٣، ٨٤٦).

- صحيح أبي عوانة (٨٤٤).

- كتاب القدر لأبي داود(١٥١).

ـ كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا (٦٦٩).

ـ كتاب نزول الرب كل ليلة إلى سماء الدنيا للدارقطني (٤٦٤).

ـ الكشاف للزمخشري (٤١٤).

ـ المباحث المشرقية للرازي (٣٣٤).

ـ محاسن المجالس لابن العريف (٦٣٩).

ـ مستخرج البرقاني على البخاري (٨٥٣).

ـ مسند أحمد (١٥، ١٢٣، ١٥٠، ١٧٠، ٥٢٢، ٥٥٠، ٥٧٨، ٧٢١، ٧٨٤، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٦٥).

ـ مسند إسحاق بن راهويه (٨٦٦).

ـ المعجم الكبير للطبراني (٢٦٣).

ـ مقالات الإسلاميين للأشعري (٨٧٢، ٩١٢).

ـ منازل السائرين للهروي (٧٤، ٥٨٥، ٧٠١، ٧١٤، ٧٢٩).

والجدير بالذكر أنّ نسخة «منازل السائرين» التي رجع إليها ابن القيم في هذا الكتاب غير النسخة التي اعتمد عليها في كتاب «مدارج السالكين».

*** ثانيًا: المؤلفون**

ـ البغوي (٩١٤).

كثيرا ما يعتمد المؤلف على تفسير معالم التنزيل للبغوي، فهناك مواضع أخرى لم يصرّح بنقله عنه، كما سنرى في الحواشي.

ـ البيهقي (٨٦٧، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧٣).

النقل في المواضع الثلاثة الأولى من كتاب الاعتقاد.

ـ الثعلبي (٥٣٥): الكشف والبيان.

ـ الحاكم (٨٣٢).

يجوز أن تكون الإحالة على معرفة علوم الحديث أو المستدرك.

ـ ابن حزم (٨٤٠): الدرّة فيما يجب اعتقاده.

ـ الدارمي (٣٨٤): نقض الدارمي على بشر المريسي.

ـ الرماني (٤١٤).

يظهر من السياق أن الإحالة على تفسيره.

ـ الزجّاج (٢٢٩، ٥٣٤، ٧٧٩، ٩١٤).

نقل قوله في الموضع الأخير من تفسير البغوي، ولعل المواضع الأخرى أيضًا منقولة بالواسطة.

ـ الطبري (١٤٥، ١٤٨، ١٦٧، ١٦٩، ١٧١)،

الظاهر أن هذه النقول كلها مأخوذة من كتاب السنة له، وقد صرّح باسمه في ص(١٤٩) كما سبق.

ـ ابن عبدالبرّ (٨٤١، ٨٧٢).

النقل من الاستذكار، وقد صرّح باسمه في أحكام أهل الذمة (٨٧٢).

ـ عبدالحق الإشبيلي (٨٦٦، ٨٦٩): كتاب العاقبة.

- أبوعبدالرحمن السلمي (٧٢٧).

- ابن عطية (٥٣٥): المحرر الوجيز.

- الفريابي (٤٤٠).

لعلّ النقل من تفسيره.

- ابن قتيبة (٨٥٩).

الظاهر أن النقل من غريب الحديث، والمطبوعة ناقصة، ولكن قد يكون مصدر قوله «الرد على ابن قتيبة للمروزي».

- المهدوي (٥٣٥). لعلّ النقل من تفسيره.

- ابن وهب (١٥٢، ١٥٤، ١٦٧): كتاب القدر.

- ابن وضاح (٧٧٢): البدع والنهي عنها.

- القاضي أبويعلى (٨٤٦).

*** ثالثًا: النقول عن شيخ الإسلام**

إنّ شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم رحمهما الله يغرفان جميعًا من ينبوع واحد، ومنهجهما واحد في تقويم الأقوال والآراء ووزنها بميزان الكتاب والسنة دون التعصب لشخص أو مذهب. ثم من طول الملازمة والمذاكرة والموافقة امتزجت الأفكار وتشابهت العبارات، وكادت تتحدّ بعض الأحيان.

وقد يتناول ابن القيم قاعدة من قواعد شيخ الإسلام ويفسرها ويبسط الكلام عليها من غير أن يشير إلى أن أصلها من كلام شيخه، ولا عجب

في ذلك، فهو حامل علمه وناشره وشارحه. وكذلك بعض أقوال الشيخ وآرائه يعزوها إليه حينًا، ويغفل العزو حينًا آخر. ومن ثم يجب على من يريد دراسة أفكار ابن القيم في موضوع من الموضوعات أن يستوعب النظر في مؤلفات شيخه أيضًا.

ذكر ابن القيم شيخه في هذا الكتاب في عشرة مواضع. أورد في موضعين (١٢، ١٨٦) ثلاثة أبيات من تائيته. وفي موضعين (٣٢٨، ٥١٨) ذكر كتابه «موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح» وأثنى عليه. وفي موضعين آخرين (١٨٤، ٦٥٨) نقل مناظرة له مع بعض شيوخ الجبرية حكاها له. وفي (٨٤٩) نقل حكمه على حديث بأنه باطل موضوع. وفي المواضع الأخرى (٢٠٠، ٢١٤، ٥٣٤) نقل أقوال شيخه في بعض المسائل.

أما النصوص التي هي لشيخه بدليل وجودها في كتبه أو أن ابن القيم نفسه عزاها إليه في كتاب آخر له، فمنها أنه ذكر في (٢٩) قول المسيح للحواريين: «إنكم لن تلجوا ملكوت السماء حتى تولدوا مرتين» وفسّره واستدلّ كذلك بقراءة لأبي بن كعب، من غير إشارة إلى شيخه. ولكن في مدارج السالكين (٣/ ٣٤) نقل ذلك كله عن الشيخ.

ومنها أنه لما فسّر «العزيز» من أسماء الله سبحانه بأن العزة تتضمن القوة قال: «يقال: عز يعَز ـ بفتح العين ـ إذا اشتدّ وقوي. ومنه الأرض العزاز للصلبة الشديدة. وعز يعِز ـ بكسر العين ـ إذا امتنع ممن يرومه. وعز يعُز ـ بضم العين ـ إذا غلَب وقهر. فأعطوا أقوى الحركات ـ وهي الضمة ـ لأقوى المعنى، وهو الغلبة والقهر للغير...» (٢٣١). ونحوه في مدارج السالكين (٣/ ٢٣٨) وجلاء الأفهام (١٤٧) أيضًا، ولكن السياق في جلاء الأفهام يدلّ على أنه من كلام شيخ الإسلام، إذ قال فيه:

«ثم ذكر لي فصلاً عظيم النفع في التناسب بين اللفظ والمعنى، ومناسبة الحركات لمعنى اللفظ، وأنهم في الغالب يجعلون الضمة التي هي أقوى الحركات للمعنى الأقوى... فيقولون: عز يعَز بفتح العين إذا صلب. وأرض عزاز: صلبة...» ونجد الفكرة بعينها مع تفسير الكلمة على هذا الوجه في منهاج السنة (٣/ ٣٢٥).

ومنها القاعدة الأولى بعد باب الفقر والغنى، التي عنوانها: «قاعدة شريفة عظيمة القدر حاجة العبد إليها أعظم من حاجته إلى الطعام والشراب...». وخلاصتها أن الله عز وجل هو المعبود المطلوب المحبوب وحده، وهو المعين للعبد على حصول مطلوبه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾. فقد بنى ابن القيم كلامه في هذه القاعدة إلى أول الفصل الثالث (١١٦ ـ ١٣٣) على كلام شيخه، ونقل معظمه بنصه مع بسطه. وكذا فعل في الباب السادس من كتابه إغاثة اللهفان (٧٠ ـ ٩٦)، ولكنه رتبه هناك على نحو آخر، ولم يشر هنا ولا في الإغاثة إلى شيخ الإسلام. وكلام الشيخ في مجموع الفتاوى (١/ ٢١ ـ ٣٣).

ولا أستبعد أن يكون نقد ابن القيم لكتاب ابن العريف في علل المقامات مبنيًا على قاعدة الشيخ المذكورة في مؤلفاته، وقد سبقت الإشارة إليها.

وفي آخر هذه الفقرة نشير إلى موضعين في تفسير قول النبي ﷺ: «ربنا ولك الحمد، ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد». ذكر في الموضع الأول (٢٤٠) أن قوله: «ملء ما شئت من شيء بعد» يحتمل أمرين: أحدهما أن يملأ ما يخلقه

الله بعد السماوات والأرض، والثاني أن يكون المعنى: ملء ما شئت من شيء ويقدّر مملوءًا بحمدك، وإن لم يكن موجودًا. ثم أورد وجوهًا تقوي المعنى الأول. وختم الوجه الثاني في المسوّدة (٤١/أ) بقوله: «هذا تقرير شيخنا. قلت: وفيه نظر، إذ قوله: «وملء ما شئت من بعد» يحتمل بعدية الزمان وبعدية المكان المغايرة، أي ما شئت غير ذلك. والبعدية مستعملة فيهما». ثم ضرب على هذه العبارة، فبقي تقرير الوجه الثاني دون إشارة إلى أنه من كلام شيخ الإسلام، ودون التعقيب عليه.

وفي الموضع الثاني (٢٤٢) ذكر المؤلف اختلاف الناس في معنى كون حمد الله سبحانه يملأ السماوات والأرض وما بينهما، وأن طائفة ذهبت إلى أن ذلك على وجه التمثيل. ثم كتب في مسودته (٤١/أ): «وكان شيخنا رحمه الله يرى أنه لا يحتاج إلى هذا التكلف، بل الحمد يملؤها حقيقة». ثم ضرب على هذه العبارة واستكمل استدلال الطائفة الأولى، ثم قال: «والصواب أنه لا يحتاج إلى هذا التكلف البارد، فإن ملء كل شيء يكون بحسب المالىء والمملوء». ثم أورد استعمالات وشواهد عديدة ليخلص إلى أنه حقيقة في بابه.

طبع الكتاب وتحقيقه واختصاره وترجمته

أوّلاً: طبعه وتحقيقه:

صدر طريق الهجرتين لأول مرة سنة ١٣٢٠هـ في القاهرة من المطبعة الميمنية. وعلى هذه الطبعة اعتمدت طبعة المنيرية ثم طبعة السلفية مع زيادة تعليقات وتحسينات. ثم عن هذه الثلاث وبخاصة عن السلفية صدرت معظم الطبعات، وإن ادّعت بعضها الاعتماد على نسخة خطية. ونذكر فيما يلي الطبعات التي وقفنا عليها:

- طبعة المطبعة الميمنية على حاشية إغاثة اللهفان، بتصحيح محمد الزهري الغمراوي. صدرت في شعبان ١٣٢٠=١٩٠٢م. عدد صفحاتها ٤+ ٤٢٣ . والنسخة التي وقفت عليها ضاعت خاتمتها، فلا أدري أأشير في آخرها إلى المخطوطة التي اعتمد عليها في نشرها أم لا.

- طبعة إدارة الطباعة المنيرية. كتب على غلافها: «عنيت بتصحيحه والتعليق عليه للمرة الأولى سنة ١٣٥٧هـ إدارة الطباعة المنيرية». وفي آخرها: «تم طبعه في ربيع الآخر سنة ١٣٥٨هـ. وهي في ٥٦٧ صفحة بالإضافة إلى فهرس الموضوعات المرقم بحروف المعجم.

- طبعة المكتبة السلفية بعناية الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله. ووقف على طبعها يوسف بن عبدالعزيز النافع. صدرت سنة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م في ٤٣٢ صفحة. والطبعة الثانية منها صدرت سنة ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م.

- طبعة إدارة الشؤون الدينية في الدوحة (قطر) سنة ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م (عن ط السلفية) بتحقيق ومراجعة الشيخ عبدالله بن إبراهيم

الأنصاري رحمه الله في ٧٤٤ صفحة.

ـ طبعة مكتبة النهضة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع في القاهرة سنة ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م. قام بتصحيحها محمود غانم غيث (عن ط المنيرية) في ٦٢٤ صفحة.

ـ طبعة دار الكتب العلمية في بيروت، سنة ١٤١٦هـ، مصورة عن ط السلفية في ٤٣٢ صفحة.

ـ طبعة مكتبة المعارف بالطائف (عن ط السلفية) دون تاريخ، في ٤٢٧ صفحة.

ـ طبعة دار الوطن للنشر والإعلام في المملكة العربية السعودية (عن ط السلفية) دون تاريخ في ٤٣٢ صفحة.

ـ طبعة مكتبة المؤيد بالرياض سنة ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م، بتحقيق بشير محمد عيون. وبين يديّ طبعته الثانية التي صدرت عن مكتبة دار البيان بدمشق سنة ١٤١٩هـ في ٤٤٣ صفحة. وقد زعم محققها أنه اعتمد على نسخة الظاهرية ونسخة الكويت والطبعتين المنيرية والسلفية، وقد أثبت أرقام أوراق الظاهرية أيضًا على حواشي الصفحات، ولعل هذا هو المقصود بالاعتماد عليها!

ـ طبعة دار ابن كثير بدمشق، تحقيق يوسف علي بديوي. وبين أيدينا الطبعة الرابعة التي صدرت سنة ١٤٢٤هـ في ٨١٢ صفحة، ولم أعرف متى صدرت لأول مرة. وقد زعم محققها أيضًا أنه اعتمد فيها على نسخة الظاهرية. وهذه أيضًا دعوى عريضة لا تصدّقها المقابلة بينها وبين النسخة المذكورة!

ـ طبعة دار الخير في بيروت سنة ١٤١٩هـ، بتحقيق وهبة الزحيلي

عن ط دار ابن كثير! وخرج أحاديثه أسامة حسن عبدالمجيد. عدد صفحاتها ٤٩٨ صفحة.

ـ طبعة دار ابن القيم بالدمام، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤هـ، ضبط وتخريج وتعليق عمر بن محمود أبوعمر، في ٦٣٢ صفحة.

ـ طبعة المكتبة العصرية في بيروت سنة ١٤٢٣هـ باعتناء أبي عبدالله العاملي السلفي، في ٤٨٨ صفحة، وذكر في المقدمة أنه اعتمد على الطبعة المصرية القديمة، وطبعة دار ابن القيم، وطبعة دار ابن كثير، وهي أصح تلك الطبعات(؟).

ـ طبعة نزار مصطفى الباز في مكة المكرمة، تحقيق أبي الزهراء حازم علي بهجت القاضي سنة ١٤١٥هـ، في ٥٥٦ صفحة.

ـ طبعة دار الكتاب العربي في بيروت. حققه وخرج أحاديثه أحمد إبراهيم زهوة. الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ. وذكر أنه اعتمد على طبعة سابقة لدار الكتاب العربي.

ـ طبعة دار ابن حزم في بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ.

ـ طبعة دار المعرفة في بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ، اعتنى بها عبدالله سنده.

* وقد حُقّق الكتاب لأول مرة في ثلاث رسائل جامعية (١٤٢٣ ـ ١٤٢٤) في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من إعداد الباحثين:

١ ـ عايد بن مسفر العقيلي.

٢ ـ عبدالله بن عايض آل مسعود القحطاني.

٣ ـ خالد بن علي بن عبدالله العايد.

وقد أشرف على القسمين الأول والثاني: الشيخ عبدالله بن صالح المشيقح، وعلى الثالث: الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان.

وكان اعتمادهم على نسخة المصنف، ونسخة الفاتح، ونسخة الكويت، ونسخة برلين، ونسخة الشيخ ابن سحمان المكتوبة سنة ١٢٨٥هـ. والرسائل الجامعية لها منهجها وحدودها.

ثانيًا: اختصاره

ـ اختصر الكتاب فؤاد شاكر، وصدر باسم «إني مهاجر إلى ربي ـ مختصر طريق الهجرتين» في ٢١٢ صفحة من مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة سنة ١٤٠٧هـ.

ـ اختصر الباب الأخير من الكتاب ونشره عبدالله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله بعنوان «مختصر طبقات المكلفين». وقد صدر من مكتبة الطالب الجامعي بمكة المكرمة سنة ١٤٠٤هـ في ٢٧ صفحة.

ـ فصل «مشاهد الخلق في المعصية» استلّه نذير حسن عتمة ونشره سنة ١٤٠٥هـ.

ثالثًا: ترجمته

ـ ترجمه إلى الأردية مع شيء من الاختصار شيخنا الشيخ عبدالعليم الإصلاحي، ونشرته رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء في الرياض سنة ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م في ٣٤٣ صفحة.

ـ ترجمة أخرى إلى الأردية صدرت من الدار السلفية في بومباي، لم أقف عليها. وقد ذكرها الشيخ محمد عزير شمس دون ذكر اسم المترجم وتاريخ النشر في فهرس أعدّه لمؤلفات ابن القيم (مخطوط).

مخطوطات الكتاب

مخطوطات الكتاب التي وقفت عليها أو علمت بها يبلغ عددها ١٤ نسخة، وقد اخترت منها خمس نسخ اعتمدت عليها أو استأنست بها في إخراج هذه النشرة، أصفها أولاً ثم أذكر سائرها.

١ـ نسخة الظاهرية (الأصل)

وهي من مخطوطات دار الكتب الظاهرية برقم ١٤٥٧ تصوف ١٣٩. وصفها الأستاذ محمد رياض مالح رحمه الله في فهرس مخطوطات التصوف (٢/ ٢٧٤) بقوله: «الخط نسخي مقروء، بخطوط مختلفة، الحبر أسود، ق١٢٥، س ٢٤، كلمات السطر ١٥. هامش ٢ سم. ٢٥,٥×١٨ سم».

ثم ذكر من ملاحظاته عليها: «نسخة قيمة. الورقة الأولى بخط المؤلف، ثم ورقتان بخط حديث. ثم يتخلل الكتاب بعض خطوط مختلفة، ولكن الغالب خط المؤلف. وهو من وقف العمرية».

لقد حرصت على نقل هذا الوصف لأنه صادر عن معاينة للأصل لا لصورته التي بين أيدينا.

الحق أن هذه النسخة ـ كما سنرى ـ تحفة نفيسة وكنز ثمين لا يقوّم، لأنها مسوّدة الكتاب بخط ابن القيم رحمه الله. وفيها تصحيحات وإضافات واستدراكات كثيرة بخطه.

أما عدد أوراق النسخة في وضعها الحالي، وهي مرقمة، فقد وصل ترقيمها مع الورقتين اللتين ذكر الأستاذ مالح أنهما بخط حديث إلى ١٢٦ ورقة، والظاهر أن تكون معهما ١٢٧ ورقة. أما عدد الأسطر فيتراوح ما

بين ٢٢ و٣٧ سطرًا.

وقد وقع في ترتيبها اضطراب شديد. ويبدو أنها قد تشتّت شملها، فجمعت أوراقها كيفما اتفق، ورقمت، وليعرف مقدار هذا الاضطراب في أوراقها نثبت هنا الأرقام المثبتة عليها على الترتيب الصحيح.

١_١٢، ٣١، ٩٧، ٩٩، ٩٤، ٩٦، ٣٣، ٣٤، ١١٨، ٢٨، ٤٥، ٤٦، ٤٣، ٤٤، ٩٣، ٤٢، ٤٧، ٤٩، ٢٧، ٣٦، ٣٧، ١٣، ١٤، ٢٩، ٣٠، ١٥، ١٦، ٣٨، ٣٥، ١١٦، ١٠٨، ١١٥، ١١٧، ٥٠، ١٠٠ _ ١٠٧، ٥١، ٥٢، ١٨ _ ٢٦، ١٧، ٥٣ _ ٨٧، ٩١، ٨٩، ٩٠، ٨٨، ٩٢، ٩٣، ١١٩ _ ١٢٦.

والنسخة كاملة ما عدا «وريقة» تضمنت جزءًا من استدراك طويل وأشار إليها المؤلف في طرة(٥٨/ أ)، فإنها قد فقدت من النسخة. ومحتواها يبلغ ثلاث صفحات وتسعة أسطر من طبعة السلفية. ثم بعض الإضافات والاستدراكات قد ذهب سطر منها أو أكثر لتأكل أطراف الورق قديمًا قبل أن تنسخ منها نسخة الفاتح الآتية سنة ٧٧٢هـ. وذهبت أسطر أخرى فيما بعد. وقد يكون التصوير أيضًا أخفى بعضها.

كتب في وجه الورقة الأولى اسم الكتاب في سطرين وتحته اسم المؤلف هكذا: «كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين تأليف العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أبي بكر بن القيم».

وتحته العبارة الآتية:

«هذا المكتوب أعلاه هو خط المصنف رحمه الله تعالى. وهو الإمام العلامة شيخ الإسلام ترجمان القرآن، كاشف قناع غوامض المشكلات، ذو التصانيف البديعة، والحد الحديد بالانتصار للسنة الشريفة، أوحد

العلماء المفوهين، الذائق حلاوة عبارات السالكين، شمس الدين أبوعبدالله محمد الشهير بابن قيم الجوزية. تغمده الله برضوانه ورحمته، وأحلّه بفضله بحبوحة جنته آمين».

لم يكتب صاحب هذا البيان اسمه، ولكنه عارف بخط ابن القيم، والعبارة «تأليف العبد الفقير. . .» تدل على أنها بقلم صاحبها، غير أن هذا الفاضل أحبَّ أن يؤكد ذلك بشهادته.

جاء تحت البيان السابق: «من كتب إلياس بن علي الشافعي» وفي موضع آخر ورد الاسم نفسه على وجه أكمل: «في نوبة الفقير إلى الله سبحانه وتعالى إلياس بن علي بن أبي بكر بن إلياس الشافعي عفا الله سبحانه وتعالى عنهم أجمعين. آمين رب العالمين».

ولعل إلياس هذا هو آخر من ملك النسخة من الذين ظهرت أسماؤهم في صفحة العنوان. وفي الجانب الأيسر من اسمه قيد تملك آخر طمس بعضه، وقرىء منه: «الحنفي الخراساني عفا الله عنه». وتحته قيد مطالعة: «الحمدلله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. طالعه. . . عثمان الحسباني لطف الله به».

وفي أسفل الصفحة قيد شراء للنسخة: «انتقل بالابتياع الصحيح الشرعي من مالكه إلى العبد علي بن محمد الفقاعي. . .»[1].

وتحته قيد آخر: «ثم انتقل بالابتياع الصحيح الشرعي من تركة مالكه المذكور أمامه رحمه الله بطريق الوكالة بمشترى سيدي الأخ بدر الدين

---

(١) لعله علاء الدين علي بن محمد بن علي الحموي ثم الدمشقي الفقاعي الحنفي الشاعر. ولد في حماة سنة ٩١٨هـ. انظر: شذرات الذهب(٤/ ٨٠).

أبي عبدالله محمد بن فخر الدين لكاتب هذه الأحرف الفقير إلى الله تعالى في الحال والمآل عبدالقادر بن محمد بن الحبال. . . ».

ولعل على يمين الصفحة قيد وقف النسخة على المدرسة العمرية، ولكن لم يتضح في الصورة.

كان المؤلف رحمه الله قد ترك أكثر من النصف الأعلى من ظهر الورقة الأولى فارغًا للمقدمة التي أخّر كتابتها، وبدأ الكتاب بالآية الكريمة: ﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ بيّن سبحانه في هذه الآية. . . ». ولكن لما أخذ في تسويد المقدمة رأى أن المساحة المخصصة لها غير كافية، فصغّر الكتابة، وضيّق بين الأسطر، ومع ذلك اضطرّ إلى تكملتها في حواشي الصفحة الأربع، فاستغرقتها ثم تجاوزت إلى حاشية الورقة الثانية. ولما تمّت في أسفلها كتب: «فصل قال تعالى»، ووضع نقاطًا إلى أن كتب في الحاشية اليسرى من الصفحة: «يرجع إلى قوله تعالى: ﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾ وذلك في الصفحة اليمنى».

ولما وقف بعض من ملك الكتاب أو اطلع عليه ورأى مقدمة الكتاب على هذا الوجه من التسويد قام بتبييضها في ورقتين (ثلاث صفحات) بعد التصدير الآتي: «بسم الله الرحمن الرحيم. ربّ يسّر وأعن. قال شيخ الإسلام العالم العلامة شيخ الإسلام وقدوة الأنام، أوحد الحفاظ الأعلام، عمدة المفسرين، بقية المجتهدين، كاشف أسرار العلوم، موضح كل مشكل بأعذب نطق مفهوم، شمس الدين أبوعبدالله محمد بن الشيخ الإمام العالم تقي الدين أبي بكر، ابن قيم الجوزية الحنبلي غفر الله له وأعاد علينا من بركته».

وصاحب هذا التبييض أيضًا لم يكتب اسمه، ولكنه ليس بصاحب العبارة المكتوبة في صفحة العنوان تحت عنوان الكتاب واسم المؤلف. وقد ضمت هاتان الورقتان إلى النسخة ورقّمتا معها. وقد وردت في مقدمة المؤلف جملة كتبها المبيض هكذا مع الضبط: «فإذا رُؤِيَ ذُكِرَ الله». وعلق في الجانب الأيمن على «رُؤى» حاشية: «صورة خط المصنف فإذا راى ولا ضبط فيه». وهو كما قال. والملاحظ هنا أن الكاتب صرّح في حاشيته هذه بأن المقدمة بخط المصنف.

والسؤال الآن: هل اسم الكتاب واسم المؤلف في صفحة العنوان ومقدمة الكتاب فقط بخط المصنف أو سائر النسخة أيضًا؟

الجواب في نسخة الفاتح التي سيأتي وصفها، فإن ناسخها قد صرّح في خاتمتها بأنه نقلها من نسخة المصنّف المسودة، ثم قال مرة أخرى إنه قابله بأصل مصنفه رحمه الله المنقول منه. وقال أيضًا: «وفيه تبييضات أكلها الزمان من أطراف الأصل قصرت العبارة عن معرفة مضمونها، فبيضها كما ترى في القريب من آخره». ومعارضة نسخة الفاتح على نسخة الظاهرية هذه خصوصًا في المواضع التي ذكر الناسخ أنها أكل الزمان من أطراف الأصل، لا تدع مجالاً للشك في أن المقصود بنسخة المصنف المسودة هي النسخة التي بين أيدينا.

وقد سبق قول الأستاذ محمد رياض مالح إن الكتاب يتخلله خطوط مختلفة والغالب خط المؤلف. ولكن يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن الاختلاف الذي يبدو أحيانًا في الخط، إنما هو اختلاف الأقلام وأزمنة الكتابة. والمسودة كلها بخط المصنف إلا موضعًا واحدًا في (ق٥٥/ب ـ ١/٥٦). وهو جزء من كلام للرازي في كتابه المباحث

المشرقية. نقل المؤلف منه ١٧ سطرًا ثم كلف أحدًا تكملة الباقي، فكتب ٣٣ سطرًا، أي مقدار صفحة.

ومما يؤكد أنها مسودة المؤلف كثرة الضرب والتعديل في العبارة في أثناء الكتابة، غير التصحيحات والإضافات بين السطور أو في الحواشي، كما يؤكد وجودها من أول النسخة إلى آخرها أنها بخط المصنف.

وبعض الإضافات حصلت بعد مدة من كتابة المسودة. يدل على ذلك أنه قال في موضع: «وفي الباب أحاديث غير هذا لا تحضرني الآن» (٩٠/ ب). ثم ضرب على هذا واستدرك بضعة أحاديث، مما أدى إلى شيء من التكرار أيضًا.

ومن المؤكد أن هذه المسودة لم تقرأ على المؤلف، ولا تمكن من تبييضها، فقد وقعت فيها ضروب من الوهم والسهو وسبق القلم، ومنها:

- قوله: «وسنفرد إن شاء الله للغيرة فصلاً نذكر فيها أقسامها وحقيقتها(٩٤/ ب). ولا وجود لهذا الفصل في الكتاب.

- ومنها أن المؤلف رحمه الله كتب في «قاعدة في مشاهد الناس في المعاصي والذنوب» أولاً: «ويجمع ذلك أربعة أقسام أولها. . .» وبعد أسطر: «القسم الثاني» (٥٧/ أ). ثم ضرب على العبارة الأولى، وكتب: «وجماع ذلك ثمانية مشاهد». وغيّر القسم الثاني إلى «المشهد الثاني». ولما فرغ من المشهد الرابع جاء بفصل وقسم المشهد الرابع إلى قسمين. وفي آخرهما زاد في الحاشية طولاً: «فهذه ستة مشاهد. المشهد السابع

مشهد الحكمة». وكتب ثلاثة أسطر وبعدها: «الوريقة». يعني أن بقية الكلام فيها، وهي التي سبق أنها مفقودة الآن، ولكنها كانت محفوظة لما نقلت منها نسخة الفاتح وغيرها. فالتكملة موجودة فيها، إلاّ أنها تخلو جميعًا من المشهد الثامن من غير إشارة إلى بياض أو سقط، فلعل المؤلف رحمه الله سها عنه.

ـ ومنها أن المؤلف رحمه الله تكلم على كلام ابن العريف في الخوف من خمسة وجوه. وكتب مكان الوجه الرابع: «الوجه الثالث» مع أن الوجه الثالث قد سبق قبل خمسة أسطر.

ـ ومنها أنه لما أخذ في نقد كتاب ابن العريف ذكر المثال الأول في الإرادة والثاني في الزهد. ثم كتب في (٨١/أ): «فصل، المثال الثالث». وهذا صحيح، ولكنه بعد ذلك ضرب على «الثالث» وكتب «الرابع التوكل». واستمرّ الخطأ في الترقيم إلى «المثال السابع الخوف» (٨٧/أ)، وهو في الواقع المثال السادس. ولعل سبب الخطأ أن التوكل هو الفصل الرابع من كتاب ابن العريف، والفصل الأول منه في المعرفة، ولم يتعرض له ابن القيم، بل بدأ نقده من مقام الإرادة وهو الفصل الثاني عند ابن العريف، والمثال الأول عند ابن القيم، ثم الزهد، ثم التوكل. فلما كتب بعد مثال الإرادة ومثال الزهد: «المثال الثالث» كان مصيبًا، ولكن لما رجع إلى كتاب ابن العريف لنقل كلامه رأى «الفصل الثالث» فضرب على «الثالث» الذي عنده، وكتب «الرابع».

ـ في (٩٢/ب) وقع سهو في نقل الآية الكريمة ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص/٢٨]، فكتب: «أفنجعل الذين آمنوا». وكذا في نسخة الفاتح

المنقولة عنها.

ـ وهكذا في (٧٦/ أ) كتب الآية الثالثة من سورة يونس هكذا: «... ما شفيع إلا من بعد إذنه أفلا تذكرون». والآية الكريمة: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾. ولا شك أن ذلك من السهو وسبق القلم.

ومن أمثلة ذلك العبارات الآتية:

ـ «اشتد خوف سادة الأمة وسابقوها»(١١٨/ أ).

ـ «وقد علم الله ورسوله والمؤمنون أهل الفتن المفسدون» (١١٨/ أ).

ـ «مخالفًا لمحبوبته مكرم لمن أهانته»(٩٢/ ب).

ـ «مبطلاً لأثر الإنفاق مانع من الثواب» (١٠٨/ أ).

ـ «فيبقى قلب العبد الذي هذا شأنه عرش للمثل الأعلى أي عرش لمعرفة محبوبه»(٦٧/ أ).

ـ «قال» بدلاً من «قالت» (٩٧/ أ).

ومن سبق القلم أيضًا كتابة «صبخة» (٣٧/ أ) بالصاد بدلاً من السين. و«أظالعك» (٢٣/ ب) بالظاء مكان الضاد. وظل (٤٣/أ) والظن (٧٨/ أ، ٨٣ب) والحظ (٨١/ ب) مكان ضل، والضن، والحض.

ومن سمات خط النسخة أن واو العطف تتصل أحيانًا بالكلمة التالية، فتحتمل أن تقرأ واوًا أو فاءً. وتلتبس الكاف والحاء بعض الأحيان. وكثيرًا ما يهمل النقط وبخاصة في حرف المضارع، فيجوز أن يقرأ ياءً أو

تاءً. وقد يغمض رأس الميم في بداية الكلمة فلا يتميز «الوجود» من «الموجود». وقد أدى ذلك إلى اختلاف في النسخ.

وفي النسخة ظاهرة غريبة، وهي بلاغات المقابلة. انظر مثلاً: ٨/أ، ٩/أ، ٩/ب، ١٣/ب، ١٥/ب، ١٧/أ، ١٩/أ، ٢١/ب، ٢٨/أ، ٣١/أ، ٣٤/ب، ٣٨/أ، وهلم جرّا إلى آخر النسخة. والمعروف أن هذه البلاغات تكتب في حاشية النسخة المنقولة لمعرفة المكان الذي وصل إليه في مقابلتها بالأصل المنقول منه. وقد ظننت في أول الأمر أن أجزاء من الكتاب ربما سوّدت من قبل، ونسخت من المسودة الأولى فقوبلت عليها. ولكن البلاغات تستمر إلى آخر المسودة، فلا شك أن ناسخًا خالف القاعدة المعروفة وكتب البلاغات في المسودة بدلاً من نسخته المنقولة.

وقد سبق في وصف الورقة الأولى أنّ فيها قيد مطالعة، وصاحبه عثمان الحسباني، ولم أعرفه، ولكن هل تركت مطالعته أو مطالعة غيره آثارًا في النسخة؟

في آخر باب الفقر والغنى الذي انتهى بانتهاء الورقة (١٩/أ) ورد أكثر من مائة بيت من القصيدة الميمية للمؤلف. وكأنه خصص لها الصفحات الثلاث الباقية (١٩/ب - ٢٠/ب) من الكراس الثاني. فكتب في الصفحة الأولى كل بيت في سطر، وفي الثانية كل بيتين في سطر، وكذا في الثالثة، وتمت القصيدة في نصفها، فبقي النصف فارغًا. وهنا حاشية على يمين الصفحة نصّها: «علّق منها لنفسه نسخةً علي بن زيد بن علوان بن صَبرَةَ (كذا مضبوطًا) بن مهدي بن حريز الزُّبيدي الأثري اليمني داعيًا لناظمها ومالكها ولكل مسلم بالموت على الإسلام والسنّة».

وصاحب هذه الحاشية عالم معروف من علماء القرن الثامن. ولد في «رَدْما» قرية بمشارف اليمن سنة ٧٤١هـ، وتوفي بالقاهرة سنة ٨١٣هـ. ذكر الحافظ ابن حجر أنه جاور بمكة ولقي بالشام الحافظ ابن كثير. وعني بالفقه والحديث والأدب ويستحضر كثيرًا من الحديث، ويميل إلى قول ابن حزم(١).

وفي هذه الصفحة زيادة بيتين في آخر القصيدة، ولكنها ليست بخط الشيخ علي بن زيد المذكور. وهي أيضًا قديمة فإنها واردة في نسخة الفاتح، إلا أنها لم توجد في نسخة برنستون، وهذا دليل على أن أصلها نسخ قبل نسخة الفاتح.

ثم كتب البيت الآتي في المسودة هكذا (١٩/ ب):

وحي على واد بها أفيح به   منابر من نور..........

فكتب صاحب الزيادة المذكورة نفسه في الحاشية: لعله: «لدى الرسل تعلم» أو «بها الرسل تكرم». وقد أخذ ناسخ نسخة الفاتح بالاقتراح الأول ولكنه نبّه مع ذلك على أنه «ليس هذا من كلام المصنّف رحمه الله».

ومن تعليقات القراء ما جاء في ق(٤٤/ب)، إذ ورد في كلام المؤلف: «وإقرار العبد بأن للعالم إله حيّ جامع» فعلّق بعضهم في الحاشية: «صوابه: إلهًا حيًّا جامعًا». ولكن هناك مواضع أخرى مشابهة كقوله: «فإن لذلك الوقت شأن» (٦٨/أ)، وقوله: «فإن للقرب من

---

(١) ذيل الدرر الكامنة (٢٠٩). وفيه «صَيْرة» بالياء، تصحيف. وكذلك نسبة «الردماري» صوابها: «الردماوي». وانظر: شذرات الذهب(٤/ ١٠٢ ـ ١٠٣).

الإمام تأثير» (٦٨/ أ) وقوله: «ولا ريب أن فوق هذا مقام» (٧٢/ أ)، ولكن لم يعلق هناك.

وكذلك نجد في بعض الصفحات علامة «ظ» أي انظر، عند غموض كلمة أو وجود سهو كما في (٩/ ب، ١٥/ ب، ١٦/ أ).

ومن تعليقات القراء أيضًا أنه ورد في ق(٩٦/ ب): «فإذًا لا نسبة أصلاً بل كمالات العالم وكمال الله جلّ جلاله». فوضع بعضهم إشارة بعد «أصلاً» وكتب في الحاشية: «لعله بين». يعني مكان «بل»، وهو من سبق القلم.

وقد افتتح المؤلف رحمه الله نسخته بالبسملة، وختمها حامدًا ومصلّيًا بقوله: «. . . والقول الأول أظهر الأقوال والله أعلم. والحمدلله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله».

فذلك البدء وهذا الختام مجرّدين من ألقاب التعظيم ونعوت الإكرام يؤكدان أيضًا أن النسخة التي بين أيدينا نسخة المؤلف رحمه الله. فهي نسخة جليلة نفيسة، وتستحق دراسة «اكتناهية» دقيقة يقوم بها عالم خبير بالمخطوطات.

٢ ـ نسخة الفاتح(ف):

أصلها محفوظ في مكتبة الفاتح بإستنبول برقم ٢٧٣٧. عدد أوراقها ٢٢٦ ورقة. وفي كل صفحة ٢٣ سطرًا. كتبت في بعلبك بخط نسخي جميل سنة ٧٧٢هـ، أي بعد وفاة المؤلف بإحدى وعشرين سنة. ثم هي منقولة من مسودة المصنف، ومقابلة عليها، كما صرّح الناسخ في الخاتمة.

ورد اسم الكتاب واسم المؤلف في صفحة العنوان على الوجه الآتي: «كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين تأليف الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام قدوة الأنام أوحد حفاظ الأعلام عمدة المفسرين بقية المجتهدين كاشف أسرار العلوم موضح كل مشكل بأعذب نطق مفهوم شمس الدين أبي عبدالله محمد بن الشيخ الإمام العالم أبي بكر بن قيم الجوزية، قدس الله روحه، وجعل أبواب الجنة في وجهه مفتوحة».

والملاحظ أن النعوت والألقاب الواردة في هذه العبارة هي التي صدّر بها من بيّض مقدمة المؤلف من مسوّدته كما سبق.

وتحتها باللغة الفارسية: «قيد شد» يعني: تمّ تقييده. ثم سجل تحته عدد الأسطر وعدد الأوراق. وتحته ختم لعله ختم أوقاف السلطان محمود خان. وتحته قيد يفيد أن الكتاب من أوقاف السلطان المذكور، وكاتبه نعمة الله مفتش أوقاف الحرمين الشريفين، وفي آخره ختم المفتش الذي يحمل العبارة الآتية: «المتوكل على الله عبده نعمة الله» وبجانبه الأيسر ختم مكتبة الفاتح.

وفوق اسم الكتاب تاريخ وفاة ابن القيم وأسماء بعض مؤلفاته المذكورة في هذه النسخة. وعن يساره نص منقول من شرح صحيح البخاري للكرماني. وتحته الإشارة إلى الورقة التي ذكر فيها كتاب موافقة العقل للنقل لابن تيمية وكذلك الموضع الذي ذكر فيه علل المقامات لابن العريف، وظن هذا الكاتب أن «علل المقامات» عنوان كتاب ابن العريف.

وخاتمة النسخة نصّها: «بحمدالله تعالى ومنّه وحسن توفيقه، فرغ من كتابته من نسخة المصنف المسودة العبدُ محمد بن عيسى بن عبدالله بن

سليمان البعلي الحنبلي غفر الله له ولوالديه وللمصنف ولجميع المسلمين. ووافق الفراغ يوم الأربعاء المبارك تاسع عشرين شهر رمضان المعظم من عام اثنين وسبعين وسبع مائة ببعلبك. والحمدلله وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم».

ثم كتب بجانب هذه العبارة عن يسارها في الطول: «قابله كاتبه بأصل مصنفه رحمه الله المنقول منه، فصح بحمدالله. غفر الله له ولمن قابل معه وللمصنف والمالك ولمن نظر فيه ودعا لهم، آمين. وفيه تبييضات أكلها الزمان من أطراف الأصل قصرت العبارة عن معرفة مضمونها، فبيضها كما تراها في القريب من آخره. والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل».

والتبييضات التي أشار إليها الناسخ توجد في خمسة مواضع: ٢٠٤/أ، ٢٠٥/ب، ٢٠٦/ب، ٢٠٩/ب، ٢١١/أ.

أما الموضع الأول فيتعلق بمسألة أطفال المسلمين، إذ ورد في النسخة: «فقال الإمام أحمد لا يختلف فيهم أحد يعني أنهم في الجنة. وأما أطفال المشركين...». وضع الناسخ إشارة بعد كلمة «الجنة»، وعلق في الحاشية: «وفي حاشية الأصل بخط المؤلف رحمه الله أسطار مصحح على آخرها ذهب الأول منها تأكلاً على طرف الورقة، أخلى الكاتب تحت هذا السطر موضعًا وكتب ما وجد بعده». وكتب بعد بياض سطر: «وحماد بن سلمة وابن المبارك وإسحاق بن راهويه...». والرجوع إلى ق (١١٤/أ) من المسودة يصدّق ما قاله ناسخ (ف) وذلك أن هذا الاستدراك في ثلاثة أسطر كتبها المؤلف في أعلى الصفحة، فذهب السطر الأول، وما زال السطران الآخران ظاهرين.

أما الموضع الثاني (٢٠٥/ب) فترك فيه الناسخ بياضًا في السطر الحادي عشر بقدر كلمتين، وفي السطر الثاني عشر بقدر تسع كلمات تقريبًا. وذلك لأن المؤلف كتب في الصفحة نفسها (١١٤/أ) استدراكًا في ثلاثة أسطر في طول الصفحة، وذهب أكثر السطر الأخير الذي في طرف الورقة عندما نقلت نسخة (ف) منها. أما الآن فلا يرى في الصورة إلا كلمات من أول السطر.

وفي الموضع الثالث (٢٠٦/ب) بياض أكثر من سطر. وهو الجزء الأخير من استدراك بدأ في الأصل (١١٤/ب) من وسط حاشية الصفحة اليسرى في طولها، وانعطف إلى أعلاها في العرض، وتم في ثلاثة أسطر، والسطر الأخير قد أكله البلى، ولا يظهر منه الآن في الصورة إلا ثلاث كلمات.

والبياض الرابع (٢٠٩/ب) بقدر تسع كلمات تقريبًا، وهو جزء من لحق في الحاشية اليسرى من الأصل (١١٥/ب). والبياض الخامس (٢١١/أ) بقدر ست كلمات تقريبًا، وهو أيضًا جزء من استدراك طويل مكتوب في الحاشية اليسرى من الأصل (١١٦/أ).

وقد تبين من هذه المقارنة أن نسخة الفاتح منقولة من نسخة الظاهرية، وهي المقصودة بمسودة المصنف في نص خاتمتها. والملاحظ أن التأكل الذي أشار إليه ناسخها البعلي كان قد أصاب ثلاث ورقات من المسودة (ق١١٤ ـ ١١٦)، وسائر النسخة كانت سليمة في عهده سنة ٧٧٢ هـ. وإذا صح تقديرنا أن المسودة قد كتبت قبل سنة ٧٣٢هـ، فكان قد مضى عليها حين ذاك ٤٠ سنة. والآن بيننا وبين نسخة الفاتح أكثر من ٦٥٠ سنة. وقد ضاعت وريقة من الأصل في هذه المدة،

وذهبت أسطر أخرى من أطراف الأوارق في مواضع عديدة مما زاد من قيمة نسخة الفاتح.

هذه النسخة قد قوبلت على الأصل بعد كتابتها كما ذكر الناسخ في الخاتمة. يؤكد ذلك بلاغات المقابلة والتصحيحات. ولكن بقيت فيها ألفاظ كثيرة تختلف عما في الأصل، ووقع أحيانًا سقط أيضًا، ومن الغريب أنه لم يكتشف في المقابلة. ثم أخطأ الناسخ في قراءة النص في مواضع كثيرة، وهو معذور فيها لصعوبة الخط وتشابك الكلمات وإهمال النقط.

في آخر النسخة بعد الخاتمة يوجد قيدان للمطالعة. أحدهما بخط فارسي جميل وصاحبه «الفقير السيد مصطفى بن السيد عبدالله الشهير بطريقتجي»، ولكن لم يظهر في الصورة تاريخه. والآخر الذي ذكر أنه طالع في هذا الكتاب من أوله إلى آخره مرارًا عديدة كتب تاريخه «شهر شوال سنة ٩٨٩هـ». والقارىء الأول هو الذي قيّد في صفحة العنوان بعض أسماء كتب المصنف وشيخه المذكورة في النسخة. وله عليها تعليقات لغوية وغيرها.

٣ ـ نسخة برلين الأولى (ب).

وهي محفوظة في مكتبة الدولة في برلين برقم ٨٧٩٥. عدد أوراقها ١٤٨ورقة. وفي كل صفحة ٢٣ سطرًا. كتبها عمر بن محمد المارديني بخط نسخي جميل سنة ٨١٦هـ كما في خاتمتها التي نصها: «ووافق الفراغ من كتابته بيد مالكه الفقير الحقير المعترف بالتقصير عمر بن محمد الماريني عفا الله عنهما يوم الأحد ثالث عشر صفر من سنة ست عشرة وثمان مائة. والحمد لله وحده، وصلواته على رسوله وعبده محمد

النبي وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين وسلامه. آمين يا رب العالمين».

لم أجد ترجمة هذا الناسخ، ولكن عبارة الخاتمة تدل على أنه كان من الفضلاء المعتنين بالعربية.

والنسخة ناقصة من أولها. وقد كتب في أعلى الورقة الثانية: «السابع»، وبعد عشر ورقات: «الثامن». فإذا كان كل كراس عشر ورقات، وفقدت منها ستة كراريس إلا ورقة واحدة، فذلك يعني أن النسخة كانت في ٢٠٨ ورقة أي في ٢١ كراسًا، وبقيت منها ١٥ كراسًا.

وبداية النسخة: «ما بقيت الدنيا في شأن موسى وفرعون وقومه...». وتجد هذا النص في ص(١٢٣) من طبعة السلفية. وقد سبق في الكلام على عنوان الكتاب أن بعضهم كتب في أعلى الصفحة الأولى: «كتاب نهج العمل لابن حجر» مع أن في أعلى الورقة (٣٢/أ) تصريحًا بأنه «العاشر من طريق الهجرتين» يعني: الكراس العاشر. ويوجد هذا التصريح في بداية كراريس أخرى أيضًا.

لم يذكر الناسخ الأصل الذي نقل منه نسخته، ولكنها لم تنسخ بلا شك من مسودة المؤلف ولا من نسخة الفاتح. ثم أصل هذه النسخة قد نقل من المسودة قبل نسخة الفاتح، فإن النص الذي أشار ناسخ هذه إلى ذهابه لكونه في طرف الورق وترك له بياضًا موجود في نسخة برلين.

والنسخة قد قوبلت على أصلها، ويظهر من بعض التعليقات المنتهية بحرف «خ» أنها قوبلت على نسخة أخرى أيضًا. وهي مع جمال خطها وضبطها وعناية ناسخها كثيرة التصحيفات. وقد وقع فيها سقط طويل في ق(٢/أ) يساوي ٢٢ سطرًا من طبعة السلفية، بالإضافة إلى سقوط

كلمات وجمل وبياض في (١٣/أ، ١٤/ب، ٥١/ب، ١١٨/أ) وأغلاط أخرى. والظاهر أن ذلك كله راجع إلى الأصل الذي نقلت منه النسخة.

وفي آخر النسخة يوجد قيد تملك نصه: «ملك الفقير الحقير المعترف بالعجز والتقصير لربه القدير، الفقير شرف الدين بن الفقير يوسف بن الفقير أحمد بن الفقير محمد غزال الفرنوي المؤذنين بمقام القطب الربّاني سيدي عيسى الفرنواني. نفعنا الله ببركاته وبركات علومه في الدنيا والآخرة. آمين».

٤ـ نسخة برنستون (ن).

وهي نسخة قديمة قيمة محفوظة في مكتبة جامعة برنستون برقم ٢٥٣٣، ولكنها ناقصة أيضًا كالنسخة السابقة، إلا أن النقص في هذه من آخرها، فهي تنتهي بانتهاء السطر الأول من ص(١٤٣) من طبعة السلفية البالغة صفحات النص فيها ٤٢٣ صفحة. وذلك يعني أن الموجود من هذه النسخة نحو الثلث فقط من أولها.

لم يعرف اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها لضياع آخرها، وإن كنا لا ندري أكانت خاتمتها متضمنة لذلك أم لا. ولكن الظاهر أنها قديمة ولعلها من القرن الثامن. ثم قد نسخ أصلها أيضًا قبل نسخة الفاتح. والدليل على ذلك أن البيتين اللذين زيدا في آخر الميمية في المسودة ونقلها ناسخ (ف) لم يكونا موجودين في هذه النسخة، وزادهما بعض القراء بخط حديث. وقد قابل صاحب هذه الزيادة أبيات الميمية (٢٢/ب ـ ٢٤/أ) بنسخة أخرى وقيّد بعض الفروق.

والنسخة لا تخلو من السقط والتصحيف. وقد سقط منها سطر كامل

من مسودة المؤلف في (٤١/أ،٤١ب، ٤٥/أ) وثلاثة أسطر في (١٧/ب). ومن المستغرب أن ناسخ أصلها أثبت في بعض المواضع ما هو مضروب عليه في المسودة. ومن أمثلة ذلك أنه ورد في النسخة (١٠/أ): «وناداك من قبضة اليمين». وهكذا كان في المسودة (٩/أ) ثم ضرب على «ناداك» وكتب فوقه: «وجعلك»، وزيد فوق «من»: «أهل». مع علامة «صح». فأصبحت الجملة هكذا: «وجعلك من أهل قبضة اليمين».

وكذلك ورد في الصفحة التالية (١٠/ب): «فصل فهنا وقفت شهادة العبد». وكلمة «فصل» مضروب عليها في المسودة بصورة واضحة. فلا أدري كيف غفل عنه كاتب أصل هذه النسخة. ثم في الصفحة نفسها زاد الكاتب كلمة «فصل» قبل سبعة أسطر، مع أنها لا وجود لها في مسودة المصنف.

٥ـ نسخة الكويت (ك).

وهي محفوظة في مكتبة وزارة الأوقاف الكويتية برقم خ٥٢. عدد أوراقها ٢٠٨ ورقة. وعدد الأسطر في كل صفحة يتراوح بين ٢١ و٢٥ سطرًا. كتبها بخط النسخ سنة ١٠٠٠هـ عبدالقادر بن محمد بن موسى بن حبيش كما يفيد نصّ الخاتمة.

وكتب في صفحة العنوان اسم الكتاب والمؤلف هكذا: «كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم الحنبلي رحمه الله». فضرب بعضهم على نسبة «الحنبلي» ضربات! وتحته قيد تملك مطموس. وتحته قيد آخر: «دخل في ملكنا غرة ربيع أول سنة ١٣٤٤هـ».

وبداية النسخة بعد البسملة: «قال شيخنا العالم الرباني خادم السنة وإمامها في عصره [القائم] بأعيان حقائقها والدعوة إليها أبوعبدالله محمد بن الشيخ أبي [بكر] بن أيوب بن سعد الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية رحمه [الله] ورضي عنه ونفع بعلمه وبركته».

وهذا يدل على أن النسخة التي انحدرت منها نسخة الكويت كانت مكتوبة بخط بعض تلامذة المصنف. ولكن كم نسخةً بين هذه وبين تلك، لا ندري. النسخة كاملة، ولم يذهب منها إلا كلمات وأجزاء من أسطر في الورقتين الأولى والثانية من أجل التمزق.

وفي حواشيها تصحيحات واستدراكات بعضها بخط الناسخ، وبعضها بخط شخص قابلها بنسخة أخرى، وكثير منها لم تظهر في الصورة.

وأم هذه النسخة أو جدّتها نقلت أيضًا من أصلِ المصنف قبل نسخة الفاتح، فإن العبارة التي ترك لها ناسخ(ف) بياضًا موجودة في نسخة الكويت. ثم في النسخة أسقاط وتصحيفات كغيرها من النسخ.

٦ـ نسخة برلين الثانية.

رقمها ٧٩٥، في ٣١٥ ورقة، كتبت في جمادى الأولى سنة ١٢٤٤هـ كما في فهرس ألورد (٣/ ١٨٧).

٧ـ نسخة الأميرة نورة بنت الإمام فيصل بن تركي.

وهي من مخطوطات المكتبة السعودية بالرياض، ومحفوظة الآن في مكتبة الملك فهد الوطنية. وقد سجلت في المكتبة السعودية برقم ٨٦/٤٥ في ١٣٩٢/٦/٢٩هـ. وهي مما وردها من مكتبة الشيخ محمد

ابن عبداللطيف رحمه الله. فرغ من نسخها شريدة بن علي الطيار في جمادى الأولى سنة ١٢٧٦هـ للأميرة نورة بنت الإمام فيصل بن تركي، التي جعلتها وقفًا على طلبة العلم من المسلمين في ١٩ جمادى الأولى سنة ١٢٧٦هـ. وهي بخط نسخي جميل في ٤٠٣ ورقة. وتصديرها مثل تصدير النسخة الكويتية.

٨ـ نسخة ابن سحمان.

فرغ من كتابتها الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله في التاسع من شهر شوال سنة ١٢٨٥هـ. وقد سجلت في المكتبة السعودية بالرياض برقم ٨٦/٤٣ في ١٣٧٢/٦/٢٤هـ. وهي في ٤٢١ صفحة، ومحفوظة الآن في مكتبة الملك فهد الوطنية.

٩ـ نسخة مكتبة المعهد العلمي بحائل.

وهي في ٢٠٤ ورقة نسخها إبراهيم بن عبدالعزيز بن عبدالله بن فرحان بن محمد في شهر رجب ١٣٠١هـ. وصورتها موجودة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ٢٨٥٠ ـ ١ـ ف.

١٠ـ نسخة الضويان.

وهي من مخطوطات المكتبة السعودية. وقد سجلت فيها برقم ٨٦/٣٥٠ في ١٣٩٢/٤/١٥هـ. وعليه قيد وقف الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله المؤرخ في ١٣٩١هـ. عدد صفحاتها ٤١٥ صفحة. وفرغ من نسخها الشيخ إبراهيم بن محمد الضويان رحمه الله في ٥ ربيع الأول سنة ١٣١٤هـ. وصرّح في خاتمتها أنه كتبها لأخيه عيسى بن حمود المهوس. وعنوان الكتاب في الورقة الأولى: «كتاب سفر الهجرتين

وباب السعادتين» مع أن العنوان المعروف هو الثابت في مقدمة المؤلف (ق٢/ ب). وهي أيضًا محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية.

١١ـ نسخة محفوظة في مكتبة جامعة بولونيا (إيطاليا) برقم ٢٣٦. ذكرها بروكلمان في الذيل (٢/ ١٢٧).

١٢ـ نسخة في مكتبة جامعة ليدن في ٢٠٥ ورقة بخط حديث. رقمها ٣٠٠٢ شرقيات. والأوراق ٢٠ ـ ٢٧ ساقطة منها. كتب اسم الكتاب في صفحة العنوان: «سفر الهجرتين وطريق السعادتين أو طريق الهجرتين وباب السعادتين»، كما في فهرس المخطوطات العربية في مكتبة جامعة ليدن (٣٣٦). وذكرها بروكلمان أيضًا في الذيل (٢/ ١٢٧).

١٣ـ نسخة في جامعة الإمام برقم ٨٩١/خ.

١٤ـ نسخة في مكتبة الشيخ علي بن يعقوب في حائل في ١٥٠ ورقة. النسختان الأخيرتان ذكرهما الشيخ محمد عزير شمس في فهرس صنعه لمخطوطات كتب ابن القيم (مخطوط).

وفي ختام حديثي عن نسخ الكتاب يطيب لي أن أشكر للإخوة القائمين على أقسام المخطوطات في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ومكتبة الملك فهد الوطنية، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، فقد أتاحوا الفرصة للاطلاع على مخطوطات الكتاب المحفوظة عندهم ثم تصوير ما لزم تصويره منها، فجزاهم الله خير الجزاء.

منهج التحقيق

اعتمدت في تحقيق النص على نسخة الظاهرية التي تأكد أنها مسودة المؤلف كما سبق. واستظهرت بنسخة الفاتح (ف) التي نقلت من المسودة، في قراءة النص واستكمال نص الوريقة التي ضاعت من الأصل، والنقص الذي أدت إليه عوامل البلى في بعض المواضع. وقد حرصت على إثبات كل خلاف من سقط أو تصحيف أو غلط وقع في نسخة الفاتح نتيجة لسهو أو انتقال نظر أو خطأ في القراءة.

ثم اخترت ثلاث نسخ من سائر مخطوطات الكتاب، إذ تبين من دراستها أنها نقلت من أصول مختلفة، ثم تلك الأصول نقلت من مسودة المصنف قبل نسخة الفاتح، فقابلت النص عليها: الأولى نسخة برلين(ب) الناقصة الأول وتحوي أكثر من ثلثي الكتاب، والثانية نسخة برنستون (ن) الناقصة الآخر التي تشتمل على نحو الثلث الأول، فكأنهما تؤلفان نسخة كاملة قديمة. وقد استأنست بهما في ترجيح قراءة على أخرى، وأشرت إلى بعض الفروق، ولم أنبه على كثير من أخطائها وأسقاطها.

أما النسخة الثالثة من هذه ـ وهي نسخة الكويت ـ فرأيت أنها تشبه المطبوعة والنسخ النجدية، فكأن أصلها واحد. فاخترتها لتنوب عن النسخ المتأخرة.

ثم قابلت النص على طبعة السلفية(ط)، والطبعة القطرية التي طبعت عن الأولى بعد تصحيح أخطائها بالرجوع إلى بعض النسخ الخطية فيما يبدو. ولما كانت معظم طبعات الكتاب صادرة عن طبعة السلفية، وقد اعتمد فيها أو في أصلها على نسخة متأخرة، قيدت الخلافات بينها وبين

مسودة المؤلف (غير ألفاظ التسبيح والتمجيد أو ألفاظ الصلاة والسلام)، ليتبين الفرق الشاسع بين هذه النشرة والطبعات السابقة كلها.
واخترت من فروق النسخة الكويتية ما شاركت فيه المطبوعة، وصرفت النظر عن غيرها إلا إذا اقتضى الأمر إثباته.

وقد رجعت إلى الكتب الأخرى للمؤلف وشيخه، لربط هذا الكتاب بتلك في المسائل المشتركة، والاستفادة منها في خدمة النص من جهة القراءة أو الضبط أو التفسير أو التعزيز أو غير ذلك.

ولما كان الأصل مسودة، والنسخ التي وصلت إلينا كلها مع اختلافها راجعة إلى هذه المسودة، وقد وقع فيها شيء كثير من السهو وسبق القلم = كنت مترددًا بين إثبات السهو في النص كما ورد في المسودة وإثبات الصواب في الحاشية، وبين تصحيح النص وإثبات السهو في الحاشية.
ثم اخترت الطريقة الأخيرة فيما وقع من ذلك في العبارة والترقيم ونحو ذلك. ولا ضير في ذلك إن شاء الله بعد ما التزمت أن لا أغفل شيئًا مما ورد في نص المسودة وأقيّده في الحواشي.

وحاولت أن لا أضع عنوانًا جانبيًّا إلا عند الحاجة، وأحقق هذا الغرض بتحبير الكلمات أو الجمل الواردة في النص.

أما تخريج الأحاديث فقد تولّاه ـ ما عدا أحاديث الصحيحين ـ الأخ الشيخ زائد بن أحمد النشيري، فجزاه الله خيرًا. وسترى في آخر تخريجاته حرف الزاي بين القوسين إشارة إليه.

وقد ترجمت لطائفة من الزهاد والمشايخ الذين نقل المؤلف أقوالهم لأن أسماءهم قد تكون غير مألوفة لكثير من قراء هذا الكتاب. وحرصت

على أن تكون هذه التراجم بألفاظ قليلة مأخوذة من مصدرها ومبينة لمكانة الشخص عند القوم مع الإشارة إلى عهده.

وفي آخر الكتاب وضعت فهارس كاشفة متنوعة تعين على الاستفادة من المباحث الجليلة التي انطوى عليها.

وبعد، فأرجو أن أكون قد وفقت في أداء هذا النص القيم أداءً مقاربًا، وأن تكون نشرتي هذه أول نشرة علمية وأدناها إلى الصحة. والله ولي التوفيق، وله الحمد في الأولى والآخرة. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نماذج مصوّرة
من النسخ الخطّيّة المعتمدة


طريق الهجرتين

وباب السعادتين

العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أبي بكر

هذا المكتوب أعلاه هو خط المصنف رحمه الله تعالى

وهو الإمام العلامة شيخ الإسلام ترجمان القرآن كاشف

قناع غوامض المشكلات ذو التصانيف البديعة والجد الجديد

أبو عبد الله محمد المشهور

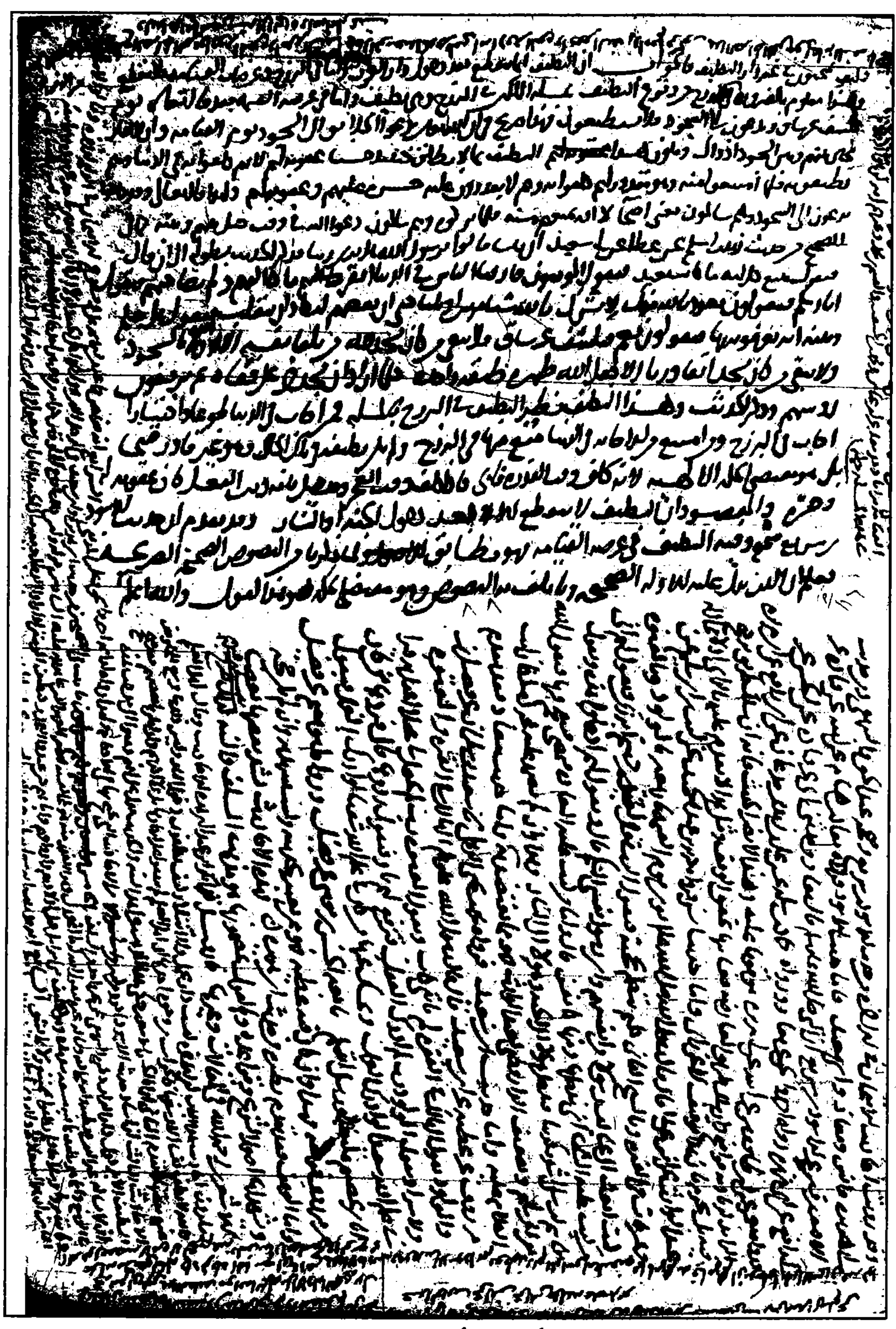
من كتب إلياس بن علي الشافعي

صفحة العنوان من الأصل



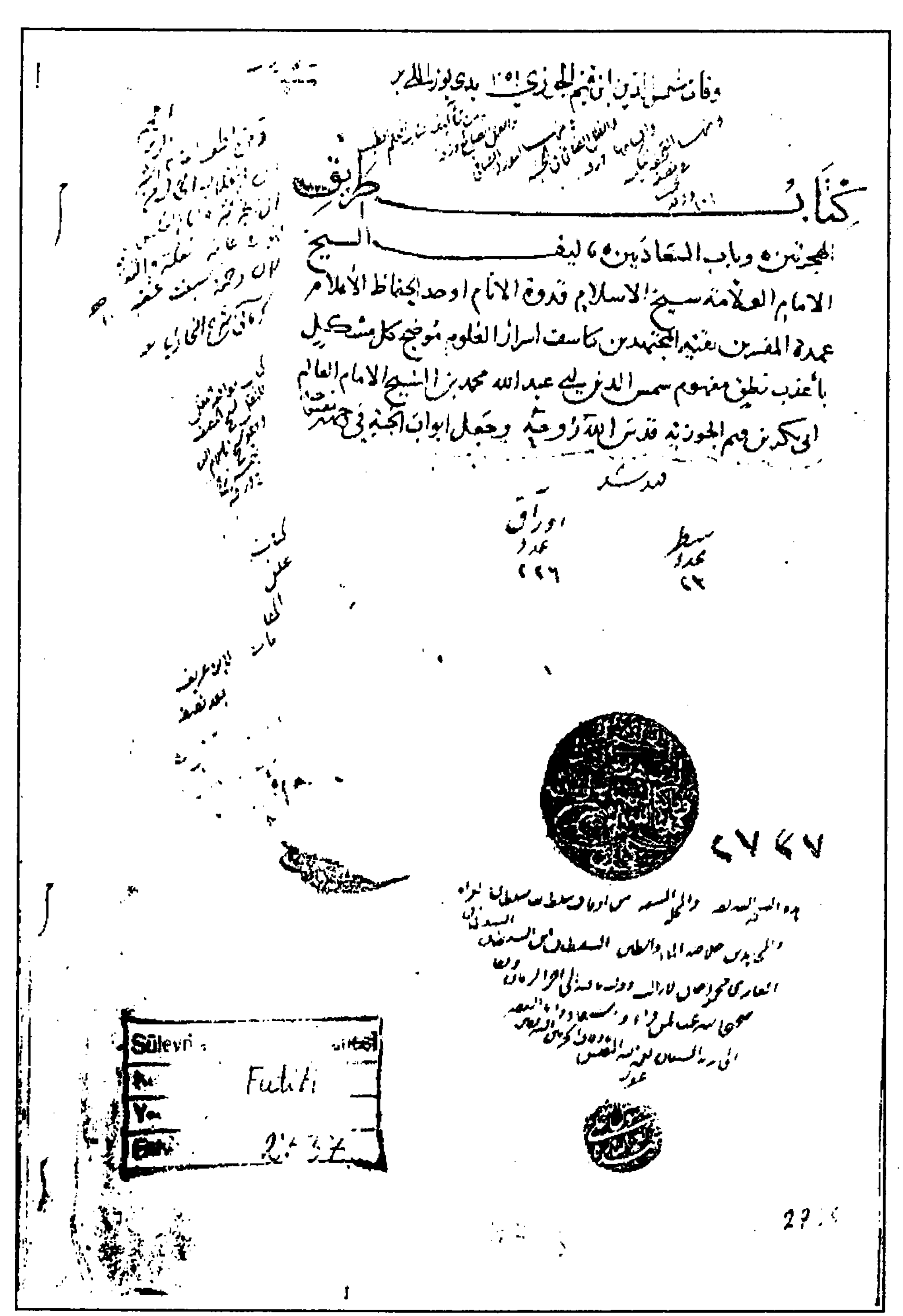
أول الكتاب في الأصل

ق١١٤/أ من الأصل، وفيها إصلاحات وإضافات



ق١١٦/أ من الأصل وفيها إضافات

خاتمة الأصل



صفحة العنوان من نسخة الفاتح (ف)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام أوحد الحفاظ الأعلام عمدة
المفسرين بقية المجتهدين كاشف أسرار العلوم موضح كل مشكل بأعذب نطق مفهوم
شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الإمام العالم أبي بكر بن قيم الجوزية الحنبلي رحمه الله تعالى
الحمد لله الذي نصب الكائنات على ربوبيته ووحدانيته حججا وحجب العقول
والأبصار أن تجد إلى تكييفه منهجا وأوجب الفوز بالنجاة لمن شهد له بالوحدانية شهادة
لم يبغ لها عوجا وجعل لمن لاذ به واتقاه من كل ضائقة مخرجا وأعقب من ضيق الشدائد
وضنك الأوابد لمن توكل عليه فرجا وجعل قلوب أوليائه متنقلة في منازل عبوديته من
الصبر والتوكل والإنابة والتفويض والمحبة والخوف والرجا فسبحان من أفاض على خلقه
النعمة وكتب على نفسه الرحمة وضمن الكتاب الذي كتبه أن رحمته تغلب غضبه أسبغ
على عباده نعمه الفرادى والتوأم وسخر لهم (البر والبحر) الشمس والقمر والليل والنهار والصيف والأيام
والضياء والظلام وأرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه يدعوهم إلى جواره في دار السلام
فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
فسبحان من أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ورفع لمن ائتم به فأحله دار
كرامته وعمل بمحكمه وآمن بمتشابهه في مراقي السعادة درجا ووضع من أعرض عنه فلم يرفع به
رأسا ونبذه وراء ظهره وابتغى الهدى من غيره وجعله في دركات الجحيم متولجا فإنه الذكر
الحكيم والصراط المستقيم والنبأ العظيم وحبل الله المتين الممدود بينه وبين خلقه وعهده الذي
من استمسك به فاز ونجا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا سمي له ولا كفو
له ولا صاحبة له ولا والد له ولا ولد له ولا شبيه له ولا يحصي أحد ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه
وفوق ما يثني عليه خلقه شهادة من أصبح قلبه بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته مبتهجا
ولم يزغ عنه إلى شبه الجاحدين المعطلين معرجا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخيرته
من خلقه وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده أرسله الله رحمة للعالمين وقدوة للعاملين
ومحجة للسالكين وحجة على العباد أجمعين أرسله على حين فترة من الرسل فهدى به إلى أقوم

الطرق

ق١/ب من النسخة (ف)

مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار
وقال الحسن وقتادة يلحق كل امرئ بشيعته اليهودي باليهودي والنصراني
بالنصراني وقال الربيع بن خثيم يحشر الرجل مع صاحب عمله وفي الآية
ثلاثة أقوال أحدها أن تزويج النفوس اقترانها بأجسادها وردها
إليها الثاني أن تزوجها اقترانها بأعمالها الثالث أن تزويج المؤمنين
بالحور العين وتزويج الكفار بالشياطين والقول الأول أظهر الأقوال
والله أعلم. تم الكتاب

الحمد لله تعالى ومنه وحسن توفيقه
فرغ من كتابته من نسخة المصنف المسودة
العبد محمد بن عيسى عبد الله بن سليمان البعلي
الحنبلي عفى الله له ولوالديه وللمصنف
ولجميع المسلمين ووافق الفراغ يوم الأربعاء
المبارك تاسع عشر شهر رمضان المعظم
من عام اثنين وسبعين وسبعمائة
والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم

خاتمة النسخة (ف)

بداية النسخة (ب)

في المسلمين والكفار والصالحين ودون ذلك منهم في الموازنة على نحو طبقات الإنس
المتقدمة إلا أنهم ليس فيهم رسول وأفضل درجاتهم درجة للصالحين ولو كان لهم
درجة أفضل منها لذكروها فقد دل القرآن معه دل القرآن على انقسامهم إلى ثلاثة أقسام
صالحين ودونهم وكفار وزاد عليهم الإنس بدرجة الرسالة والنبوة ودرجة المقربين
والله تعالى أعلم فهذا ما وصل إليه الإحصاء من طبقات المكلفين في الدار
الآخرة وهي ثمان عشرة طبقة وكل طبقة منها لها أعلا وأدنى ووسط وهم درجات عند
الله والله يحشر الشكل مع شكله والنظير مع نظيره ويفرق بينهما في الدرجة قال تعالى
احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله قال الإمام أحمد وقبله
عمر بن الخطاب أزواجهم أشباههم ونظراؤهم وقال تعالى وإذا النفوس زوجت
روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب أنه سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل
الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وقال
الحسن وقتادة يلحق كل امرئ بشيعته اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني وقال
الربيع بن خثيم يحشر الرجل مع صاحب عمله وفي الآية ثلاثة أقوال أحدها أن
تزويج النفوس اقترانها بأجسادها وردها إليها الثاني تزويجها اقترانها بأعمالها
الثالث أنه تزويج المؤمنين بالحور العين وتزويج الكفار بالشياطين والقول
الأول أظهر الأقوال والله أعلم

ووافق الفراغ من كتابته بيد مالكه الفقير الحقير المعترف بالتقصير عمر بن محمد المارديني
عفا الله عنهم يوم الأحد ثالث عشر صفر من سنة ست عشرة وثمانمائة والحمد لله وحده
وصلواته على رسوله وعبده محمد
النبي وآله الطاهرين وصحبه
المنتجبين وسلامه
آمين يا رب
العالمين

خاتمة النسخة (ب)

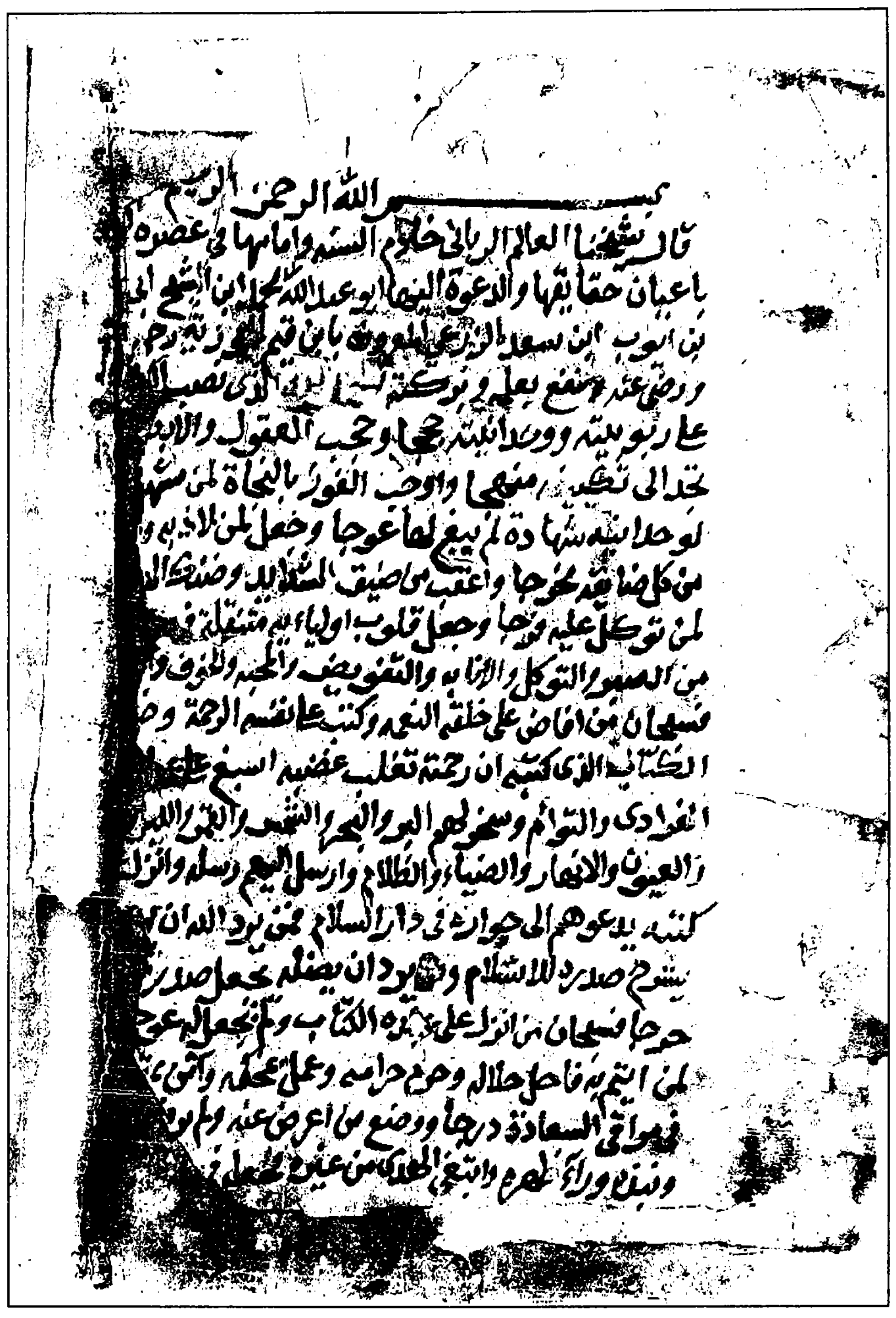
بسم الله الرحمن الرحيم ○ وما توفيقي إلا بالله

الحمد لله الذي نصب الآيات على ربوبيته ووحدانيته حججا ووجه العقول والبصائر
أن تجد إلى تكييفه منهجا وأ... الفوز بالنجاة لمن شهد له بالوحدانية شهادة لم يبغ لها
عوجا وجعل المراد به وابتاه... مصابقة ... تخرجا وأعقب من ضيق الشدائد ومنك
الأوابد لمن توكل عليه فرجا وجعل قلوب أوليائه منتقلة في منازل عبوديته من الصبر
والتوكل والإنابة والتفويض والخوف والرجا سبحان من أفاض على خلقه النعم وكتب على
نفسه الرحمة وضمن الكتاب الذي كتبه أن رحمته تغلب غضبه أسبغ على عباده نعم الفرادى
والتوام وسخر لهم البر والبحر والشمس والقمر والليل والنهار والعيون والأنهار والضيا
والظلام وأرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه يدعوهم إلى جواره في دار السلام
فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
والحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ورفع لمن ائتم بمنار حلاله وحرم
حرامه وعمل بمحكمه وآمن بمتشابهه في مراقي السعادة درجا ووضع من أعرض عنه ولم
يرفع به رأسا ونبذه وراء ظهره وابتغى الهدى من غيره وجعله في دركات الجحيم متولجا فإنه
الذكر الحكيم والصراط المستقيم والنبأ العظيم وحبل الله الممدود بينه وبين خلقه وعهده
الذي من استمسك به فاز ونجا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا سمي
له ولا كفؤ له ولا صاحبة له ولا ولد له ولا شبيه له ولا نحصي ثناء عليه بل هو كما أثنى
على نفسه وفوق ما يثني عليه خلقه شهادة من صح قلبه بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته
مبتهجا ولم يزغ عنه إلى شبه الجاحدين المعطلين معرجا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخيرته
من خلقه وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده أرسله الله رحمة للعالمين وقدوة
للعاملين ومحجة للسالكين وحجة على العباد أجمعين أرسله على حين فترة من الرسل فهدى به
إلى أقوم الطرق وأوضح السبل وافترض على العباد طاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره والقيام
بحقوقه وسد إلى جنته جميع الطرق فلم يفتح لأحد إلا من طريقه فشرح له صدره ورفع له
ذكره ووضع عنه وزره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره فهدى به من الضلالة وعلم
به من الجهالة وكثر به بعد القلة وأعز به بعد الذلة وأغنى به بعد العيلة وبصر به بعد العمى وأرشد
به بعد الغي وفتح برسالته أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح

بداية الكتاب في النسخة (ن)

المؤمن بالذكر وان كانت منفعتها عامة للمامورين والقيمين بتنبيها العباد
والله اعلم المراد من كلامه على انهم فيهم مامورون وانهم في هذه الدار على
جناح سفر ليتواموا [illegible] مستوطنين وانهم عابرو اسبيل وابنا سفر
والمقصود انه سبحانه اشهدهم في هذه ما اعده لاوليائه واعدائه في دار
القرار واخرج لاهل هذه الدار من اثار رحمته وعقوبته ما هو عبرة ودلالة على
ما هناك من خير وشر وجعل هذه العقوبات والالام والمحن سياطا يسوق بها
عباده المؤمنين فاذا راوها حذروا كل الحذر واستدلوا بما راوه منها وشاهدوه
على ما في تلك الدار من الرحمات والعقوبات وكان وجودها في هذه الدار واشهادهم
اثارها امتحانا بالسير منها رحمة منه بهم واحسانا اليهم وتذكيرا وتنبيها
ولما كانت هذه الدار ممزوجا خيرها بشرها واذاها براحتها ونعيمها بعذابها
اقتضت حكمة احكم الحاكمين ان خلص خيرها من شرها وخصه بدار اخرى هي
دار الخيرات المحضة ودار الشرور المحضة فكتب على هذه الدار حكم الامتزاج والاختلاط
وخلط فيها بين الفريقين وابتلى بعضهم ببعض وجعل بعضهم لبعض فتنة حكمة بالغة
بهرت العقول وعزة قاهرة فقام بهذا الاختلاط سوق العبودية كما يحبه ويرضاه
ولم تكن تقوم عبوديته التي هي غاية خلقه ورضاها الا على هذا الوجه بل العيب الوحيد
جمع فيه بين اسباب الخير والشر وسلط بعضه على بعض ليستخرج منه ما يحبه من
العبودية التي لا تحصل الا بذلك فلما حصلت الحكمة المطلوبة من هذا الامتزاج
والاختلاط اعقبه بالتمييز والتخليص فميز بينهما بدارين ومحلين وجعل لكل دار
ما يناسبها [illegible] بينهما [illegible] للمؤمنين [illegible] لرحمته واعداه
[illegible] اهل النقم ومواد
[illegible] كل قسم من هذه
[illegible] الامر ليعلم العباد كمال قدرته وحكمته
[illegible] من جملة الاشياء [illegible] ثوابه من صغر وعقابه
[illegible] المحل المقتضي لذلك [illegible] من حق
[illegible] الا [illegible] من الحب الراجح
لكن العبد انفسهم [illegible] صدرهم وشكرهم وتوكلهم وجهادهم واستخراج

آخر النسخة (ن)



بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا العالم الرباني خاتم السنة وامامها في عصره
باعيان حقايقها والدعوة اليها ابو عبد الله محمد بن الشيخ ابي
بن ايوب ابن سعد الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية رحمه
ورضي عنه ونفع بعلمه وبركته الحمد لله الذي نصب الادلة
على ربوبيته ووحدانيته حججا واوجب العقول والالباب
الى ... منهجا واوجب الفوز بالنجاة لمن شهد
له بالوحدانية شهادة لم يبغ لها عوجا وجعل لمن لاذ به و
من كل ضايقة مخرجا واعقب من ضيق الشدايد وضنك ال
لمن توكل عليه فرجا وجعل قلوب اوليايه متنقلة في
من الصبر والتوكل والانابة والتفويض والمحبة والخوف و
فسبحان من افاض على خلقه النعمة وكتب على نفسه الرحمة وح
الكتاب الذي كتبه ان رحمته تغلب غضبه اسبغ على
الغوادي والتوام وسخر لهم البر والبحر والشمس والقمر والليل
والعيون والانهار والضياء والظلام وارسل اليهم رسله وانزل
كتبه يدعوهم الى جواره في دار السلام فمن يرد الله ان
يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره
حرجا فسبحان من انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا
لمن ائتم به فاحل حلاله وحرم حرامه وعمل بمحكمه واتبع
في مراقي السعادة درجا ووضع من اعرض عنه ولم
ونبذه وراء ظهره وابتغى الهدى من غيره فجعل

بداية الكتاب في نسخة الكويت (ك)

٢٠٨

درجات عند الله والله تعالى يحشر الشكل مع شكله والنظير مع نظيره ويقرن
بينهما في الدرجة قال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون
الله قال الامام احمد وقبله عمر ابن الخطاب ازواجهم اشباههم ونظراوهم
وقال تعالى واذا النفوس زوجت روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب انه سيل
عن هذه الاية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن بين
الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وقال الحسن وقتادة يلحق كل امرئ بشيعته
اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني وقال الربيع ابن خثيم يحشر الرجل
مع صاحب عمله وفي الاية ثلاثة اقوال اخر احدها ان تزويج النفوس بعد فراقها
باجسادها وردها اليها الثاني تزويجها اقترانها باعمالها الثالث انه تزويج
المومنين للحور العين وتزويج الكفار بالشياطين والقول الاول اظهر الاقوال
والله اعلم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

كتبه الفقير الى مولى عم احسانه عبد القادر
ابن محمد المرحوم ابن موسى ابن حبيش [illegible]
سايلا ممن نظر فيه الدعا له ولوالديه بالثبات
على دين الاسلام والغفران والحمد لله رب العالمين
الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على محمد

خاتمة نسخة الكويت (ك)

فهرس موضوعات